البَابُ الأَوَّلُ

التعريف بعلم النفس

- **الفصل الأول:** علم النفس - التعريف والأهمية.
- **الفصل الثاني:** السلوك الإنساني - قضايا وميادين علم النفس.
- **الفصل الثالث:** علم النفس التربوي - أهميته للمعلم والمتعلم.
- **الفصل الرابع:** الهدي الإسلامي والسلوك الإنساني.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

علم النفس: التعريف والأهمية

- **الأهداف:**

(١) أن يعرف المتعلم ماهية علم النفس.

(٢) أن يعرف مقومات العلم.

(٣) أن يعرف أهداف علم النفس.

(٤) أن يتذكر المتعلم معنى السلوك.

(٥) أن يعرف المتعلم أنواع السلوك المختلفة.

(٦) أن يعدِّد الجوانب المختلفة لدراسة السلوك.

(٧) أن يعرف مناهج البحث في علم النفس.

(٨) أن يقارن بين مناهج البحث المختلفة.

(٩) أن يقارن بين المناهج المختلفة لدراسة السلوك.

(١٠) أن يقدر عظمة الخالق سبحانه وتعالى في تعدد السلوك.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

علم النفس: التعريف والأهمية

هل علم النفس علم؟(*)

يُعَدّ علم النفس من العلوم الحديثة، حيث بدأ علمًا مستقلًا منذ إنشاء «فونت Wundt» أول مختبر نفسي في مدينة ليبزج في ألمانيا، وذلك عام (١٨٧٩م) ومنذ ذلك التاريخ وعلم النفس ينتهج نهجًا علميًا في تناول الظاهرة السلوكية التي يتعامل معها من حيث الموضوعية والتجريب واستخدام الأدوات العلمية المناسبة.

وإن هناك إرهاصات قديمة حول مفهوم النفس، والسلوك والروح في مجالات متعددة، مثل الفلسفة والفسيولوجيا والطب، قد أسهمت بدورها في بلورة ونشأة علم النفس من خلال عدد من المدارس والاتجاهات الفكرية التي تبنت كل منها تيارًا مختلفًا، وبتصارع تلك التيارات وتعرضها للنقد والتقويم نشأت مدارس واتجاهات حديثة أثرت الفكر النفسي، وجعلت من علم النفس علمًا مستقلًا في منزلة العلوم الأخرى.

وفيما يأتي نعرض للسؤال الآتي: **هل يُعَدّ «علم النفس» علمًا مثل علوم الكيمياء والفلك والبيولوجيا، وغيرها من العلوم؟** وللإجابة عن هذا السؤال دعنا نبحث عن مقومات العلم، فما هي تلك المقومات؟

مقومات العلم:

أولًا: وجود ظاهرة يبحثها العلم. فعلم الفلك على سبيل المثال يبحث في حركة الأجرام السماوية والظواهر الطبيعية وخصائصها وكيفية دراستها، وعلم البيولوجي

(*) هذا العنوان مأخوذ بتصرف من الفصل الأول من كتاب تاريخ علم النفس الحديث، المدارس والاتجاهات، تأليف الدكتور إسماعيل الفقي، ٢٠٠٩، القاهرة، الأنجلو المصرية.

obeikandl.com

يبحث في خصائص الكائنات الحية، وكيفية تصنيفها... وغير ذلك، وعلم الكيمياء يبحث في خصائص العناصر وطرق وشروط التفاعل بين هذه العناصر....ولعلم النفس ظاهرة أيضًا يدرسها ألا وهي السلوك Behaviour سلوك الكائن الحي سواء كان هذا السلوك ظاهرًا ماديًا محسوسًا Concrete أو سلوكًا مجردًا Abstract غير عياني مثل التعلم والدوافع والاتجاهات والقيم والعمليات العقلية كالتذكر والتفكير والتخيل... (فالسلوك هو ذلك النشاط الذي يصدر من الكائن الحي نتيجة لتفاعله مع ظروف بيئية معينة).

ثانيًا: وثاني هذه المقومات هو توفر الأدوات التي يستخدمها العلم في دراسة الظاهرة، فعلم الفيزياء مثلاً يمتلك أدوات لتقدير درجات الحرارة ومقدار الضغط الجوي والكثافة النوعية للعناصر... وكذلك يمتلك علم الفلك رصد أدوات رصد الظواهر الكونية... ولكن ما أدوات علم النفس في دراسة السلوك؟ يدرس علم النفس سلوك الكائن الحي عن طريق عدد من المقاييس والاختبارات النفسية التي تحدد شروطها وفق المعايير العلمية الدقيقة حتى يمكن أن نتعامل مع نتائجها بدرجة عالية من الثقة.

كذلك، فإن مختبرات ومعامل علم النفس بها كثير من الأجهزة وأدوات القياس التي تمكن الباحث في مجال علم النفس من قياس كثير من مظاهر السلوك المختلفة.

ثالثًا: وبعد أن عرضنا لاثنين من مقومات العلم، وهما «الظاهرة» التي يدرسها العلم، و«الأدوات» التي يستخدمها العلم في دراسة الظاهرة ومدى توافر ودقة هذه الأدوات، نأتي إلى ثالث هذه المقومات، وهو الطريقة أو الكيفية التي يمكن للعلم أن يدرس بها هذه الخاصية، وبمعنى آخر المنهج الذي سوف نتناول به الظاهرة، والعلم هنا لا بد أن يكون منهجه علميًّا موضوعيًّا.

وقد استخدم علم النفس المنهج التجريبي منذ عام (١٨٧٩م) على يد العالم الألماني «فونت Wundt»، وهو منهج يتسم بالموضوعية والتحكم الدقيق في المتغيرات، إضافة إلى عدد من مناهج أو طرق البحث - التي سوف نعرض لها فيما بعد - وبذلك، فإن لعلم النفس طرائقه ومناهجه المتعددة في تناول الظواهر السلوكية المختلفة.

openkanal.com

رابعًا: وجود مجموعة من النظريات والمبادئ والقوانين التي يستخدمها علماء النفس في تفسير الظاهرة السلوكية.

تلك هي مقومات العلم الأربعة:

١- وجود ظاهرة، وعلم النفس يدرس سلوك الكائن الحي.

٢- وجود أدوات لدراسة تلك الظاهرة، ويمتلك علم النفس المقاييس والاختبارات وأدوات القياس المختبرية لقياس مظاهر أو خصائص السلوك المختلفة.

٣- ثم الطريقة أو المنهج في تناول الظاهرة، وعلم النفس تتعدد طرقه ومناهجه الموضوعية في دراسة السلوك.

٤- وجود نظريات ومبادئ وقوانين.

والآن تأتي الإجابة عن السؤال الذي سبق أن طرحناه.. هل علم النفس يُعَدّ علمًا؟ فمن المؤكد أن تكون الإجابة: نعم، فعلم النفس يُعَدّ علمًا...ولماذا؟ لأنه يمتلك المقومات التي سبق أن تناولناها من قبل. وهو بذلك - أي علم النفس - قد حدد موضوعه، وأدواته، ومناهجه، ويسعى إلى تحقيق أهدافه مثل بقية العلوم المختلفة، ولكن ما الأهداف التي يسعى علم النفس إلى تحقيقها؟

هذا، وتتحدد أهداف علم النفس كغيره من العلوم فيما يأتي :

أهداف علم النفس:

أولًا: فهم الظاهرة وتفسيرها:

يسعى علم النفس إلى معرفة الظواهر السلوكية وإدراك العلاقات بما يساعد على فهمها ومعرفة أسباب حدوثها، ومن ثم الوصول إلى تفسيرات علمية لحدوثها. وذلك من خلال الإجابة عن عدد من الأسئلة، مثل : متى يحدث هذا السلوك؟ كيف يحدث...؟ ولماذا يحدث؟

obeikandl.com

ثانيًا: ضبط الظاهرة:

يقود فهمنا للظاهرة ومعرفة أسباب حدوثها إلى وضع بعض الضوابط التي تمكننا من التحكم في هذه الظاهرة، أي الضبط والتحكم في بعض مظاهر السلوك المختلفة، وهناك في مجال علم النفس ما يسمى تعديل السلوك Behaviour Modification.

ثالثًا: التنبؤ بالظاهرة:

ويأتي التنبؤ بالسلوك من خلال معرفة أسبابه وفهمها وتفسيرها ومعرفة الظروف التي يمكن أن تؤدي إلى سلوك معين، ويعني التنبؤ توقع النتائج التي يمكن أن تترتب على استخدام أو معرفة معلومات معينة في مواقف جديدة، فمثلًا يمكن لعالم النفس التربوي أن يتنبأ بأن الطلاب من ذوي الاستعدادات الميكانيكية والميول المهنية يمكن أن يحققوا نجاحًا في التعليم الصناعي والتقني.

ماهية علم النفس؟

لماذا نهتم بدراسة علم النفس؟

الواقع أن الاهتمام بعلم النفس يؤكد الاهتمام بدراسة سلوك الإنسان. ولعل ما سبق ذكره من قبل يؤكد ذلك.

وقد يتساءل البعض: لماذا الاهتمام بدراسات علم النفس؟، وهذا السؤال قد يُراود من لم تتح له فرصة الاطلاع والتعمق في دراسات علم النفس، وماهيتها وضرورتها لحياة الإنسان، ولما يقوم به الإنسان الفرد أو الجماعة في الحياة اليومية من شتى ضروب وأنماط السلوك البشري.

إن علم النفس – في الواقع – يقوم على فهم سلوك الإنسان الفرد وسلوك الجماعة، ويحاول معرفة ما يدفع الناس إلى ما يقومون به من نشاط.. ويحاول أن يُفسر التشابه

obeikandl.com

والاختلاف بين الأفراد فيما بينهم.. ويهتم بنمو الفرد وتطور سلوكه من خلال مظاهر واحتياجات النمو في مدارج العمر المختلفة، وهذا بعض واقعه وشموليته لسلوك الإنسان.

وإن علم النفس في ميادينه المتعددة التي تشعبت في عالمنا المعاصر، واتسع نطاقها بتشعب الحياة، يهتم بدراسة السلوك دراسة موضوعية، سواء كان ذلك السلوك الفردي أو الجماعي داخل الأسرة أو المدرسة أو المجتمع بمؤسساته الصناعية والتجارية والإدارية، في ساحات الحرب والسلم، أو داخل ملاعب الرياضة، أو في مواقف الحياة في الأفراح والأتراح، أو الدوائر الحكومية، أو المؤسسات الإنتاجية، أو في مدارج العمر المختلفة، أو في المؤسسات الاجتماعية... إلخ، من مجالات. ومن ثم، فإن مدار البحث والدراسة في علم النفس قائم على دراسة السلوك الإنساني بهدف فهم طبيعة السلوك، وما يمكن أن يؤول إليه، والعمل على تفسيره وتقويمه وتعديله، وتوقع ما يمكن أن يكون عليه مستقبلًا، أي التنبؤ بالسلوك في المستقبل.. إذن ما هو السلوك؟ وما معناه؟

- لماذا ندرس علم النفس؟ (لأنه يهتم بدراسة سلوك الإنسان).
- علم النفس (يقوم على فهم سلوك الفرد والجماعة).

معنى السلوك:

من حيث عرفنا أن علم النفس يهتم بدراسة سلوك الإنسان.. فإن السلوك يُقصد به.. جميع أوجه النشاط التي يقوم بها الإنسان، وتصدر منه، والتي يستطيع هو أن يلاحظها أو يلاحظها شخص أو أشخاص آخرون.

وقد يكون السلوك ظاهرًا يسهل علينا ملاحظته، وقد يكون غير ظاهر.

فالنشاط الحركي الذي يقوم به الفرد كالمشي وتناول الطعام والأعمال اليدوية وتعبيرات الوجه التي تصاحب الانفعالات كالغضب أو الضحك أو البكاء، والتعبير اللفظي

obeikandi.com

الـذي يقـوم به الفـرد.. كل هذا من أمثلة وأنواع السـلوك الظاهر، الذي يسـتطيع الفرد ذاته، أو غيره ملاحظتها..

وهناك أنشـطة أخرى خفية أي غير ظاهرة، فالأنشـطة العقليـة كالتفكير والانتباه والتذكـر والاسـترجاع والإدراك والفهـم.. كل هذه عمليات عقلية لا نسـتطيع ملاحظتها بصورة مباشرة، وإنما نستدل على حدوثها من ملاحظة نتائجها. وقد يتبادر إلى الذهن.. كيف يتم ذلك؟ الواقع أنت لا تستطيع أن تستدل على قيام الفرد بنشاط عقلي من تفكير أو فهم وإدراك وتذكر، دون أن يجيب عن سـؤال معين توجهه إليه. مثلما يقوم به المعلم داخل الفصل عندما يقوم بشرح درس معين، وينتبه المتعلم، ويُركز نشاطه العقلي ليفهم كل مـا يقوله المعلم، حتى إذا ما قام المعلم بسـؤاله، فإنه يجيب عن السـؤال، وفي هذا الحال يستطيع المعلم أن يقول: إن المتعلم، سلوكه العقلي يدل على قيامه بأنشطة معينة، من خلالها تمكن المتعلم من فهم الدرس، ومن ثم أمكن الاسـتدلال على النشاط العقلي للمتعلم (سلوك غير ظاهر) من ملاحظة نتائجه.

وإذا كان الاهتمام في علم النفس بدراسـة سـلوك الإنسان.. فما هي الجوانب التي من خلالها ندرس السلوك؟

وهل علم النفس يدرس سـلوك الإنسـان فقط؟ أم يدرس سـلوك كائنات أخرى كي يستدل من خلال ملاحظاته لسلوك هذه الكائنات عن فهم أعمق عن سلوك الإنسان؟

جوانب دراسة السلوك:

يهتم علم النفس بدراسة السلوك دراسة مستفيضة، من أجل تحديد أكثر موضوعية لفهم وتحديد ومعرفة سـلوك الإنسان، بل التنبؤ بالسـلوك أيضًا. ويمكن أن نمثل جوانب دراسة السلوك الذي هو محور الدراسة في علم النفس كالآتي:

obeikandi.com

علم النفس

يهتم بدراسة السلوك

جوانب الدراسة

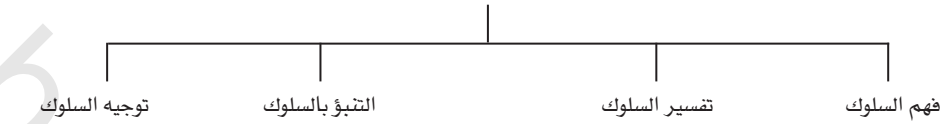

١- فهم السلوك:

أي تحديد مكونات موضوع السلوك بطريقة شاملة بهدف وصفه وصفًا دقيقًا، يُمكن من تفسير مكوناته ومضمونه، والتعرف على الدوافع التي تحدد السلوك، حيث هناك أسباب ودوافع ترتبط بالهدف من السلوك. فكل فرد عندما يسلك إنما يكون سلوكه محققًا وفق حاجات ومطالب الفرد التي يعمل من أجلها، هذا من جهة من يقوم بالسلوك. أما من جهة من يفسر هذا السلوك، فإن الأمر قد يواجه صعوبات، إذ عليه أن يتعرف على الدوافع الرئيسة وراء السلوك، حيث إن الدوافع يسهل التعرف عليها إذا كانت تتوافق والشرع أو تتوافق والنظم الاجتماعية، أما إذا كانت خلاف ذلك فإن الكشف عن السلوك والتعرف عليه يكاد يكون صعبًا، وهذا ما يُعوق كثيرًا فهم السلوك من القائمين بالدراسات النفسية، وما يترتب عن ذلك من صعوبة وصفه بدقة والوصول من هذا الوصف إلى مرحلة التوقع أي التنبؤ عن مستقبل هذا السلوك.

٢- تفسير السلوك:

قد نتساءل: هل هناك استمرارية في تفسير السلوك على نمط واحد؟ الواقع أن السلوك الإنساني يتعدل من مدة لأخرى نتيجة تشابك وتداخل العوامل والمؤثرات التي تسهم في بناء وتكوين الشخصية، والتغير الدائب والمستمر في المحيط البيئي بمؤثراته التي تعيش فيه الشخصية.. هذا التغير ليس تغيرًا كليًّا، إذ إنه تغير نسبي. حيث إن السلوك الإنساني لا يتسم بالثبات المطلق، ولا يتصف بالتغير المطلق، ولكنه وسط بين الاثنين، وهذا ما يمكننا من وصفه ومحاولة التوقع أو التنبؤ بما سيكون عليه.

obeikandl.com

٣- التنبؤ بالسلوك:

أي ما هو السلوك الذي يتوقع حدوثه أو نتنبأ بحدوثه؟ فالفهم الصحيح للسلوك غالبًا يؤدي إلى التوقع والتنبؤ بما يمكن أن يكون عليه مستقبلًا.. فإذا كان هناك المتعلم الذي يتصف بقدرة عالية من المثابرة على التحصيل مقرونة بذكاء عالٍ، فإننا نتوقع لهذا المتعلم بمستقبل علمي متواصل وتفوق مستمر. ومثل هذا التوقع يكون في الاتجاه الصحيح على الرغم مما قد لا يتحقق تمامًا بالصورة التي تم توقعها، إذ قد تحدث مؤثرات أو عوامل تصادف مثل هذا المتعلم، كأن يعاني ظروفًا غير ملائمة صحية أو اجتماعية أو اقتصادية، أو ما إلى ذلك من ظروف حياتية مختلفة، حيث لا يعلم أبعادها ونتائجها إلا الله سبحانه وتعالى، ولهذا فإن أمر التوقع المتكامل أو التنبؤ الوافي يُعدّ أمرًا صعبًا للغاية في مجال العلوم الإنسانية، نتيجة لاعتبارات عدة منها أن القياس والتوقع لسلوك الإنسان من الأمور النفسية الصعبة مهما أحكمها القياس أو التنبؤ.

ولكن هل سلوك الإنسان بسيط أم معقد؟ السلوك الإنساني ليس بسيطًا، بل معقدًا إلى درجة لا تُمكن من عزله عن بقية الجوانب الأخرى من مؤثرات متعددة، فالسلوك الفردي يصدر عن فرد من بين خصائصه أنه:

١- ذو تركيب جسمي (عضوي) حباه الله إياه يتمثل في إمكانات جسمية وعقلية معينة.

٢- ذو تكوين نفسي له جوانب عاطفية وانفعالية محددة.

٣- ذو علاقات اجتماعية، لها سمات وخصائص تتسع وتضيق، وفقًا لكفاءة تلك العلاقات واستمرارها.

وهذا البناء المشار إليه من الخصائص آنفة الذكر يُعرف في علم النفس بالشخصية.

والشخصية تتفاعل في بيئة ذات إمكانات مادية وبشرية، وذات أطر ثقافية ومعايير اجتماعية، وقد تتوافق الشخصية في البيئة، وتلتزم في سلوكها بالقواعد الشرعية

والضـوابط الاجتماعية، وقد تصـبح سـوية في سـلوكها، أو لا تتوافق في البيئة والحياة الاجتماعية، فيختل السـلوك ويضـطرب، ويوصف عندئذ بأنه سـلوك شاذ أو منحرف أو غير سـوي. ولذلك، فإن الشخصية تختلف وتتباين في خصائصها وسماتها بين مختلف الأفراد، وهذا الاختلاف والتباين يُفسر في علم النفس وفق ما يُعرف بالفروق الفردية.

هـذا إضـافة إلـى أن العوامل والخصـائص التـي يتأثر بهـا الفرد، وتشـكل بنيته الشخصية، هذه العوامل والخصائص تتفاعل فيما بينها في حركة دائمة مستمرة، بحيث يصـعب عزل جانب منها عن جوانب أخرى، أو موثرات متداخلة في السلوك عن مؤثرات أخرى. وفي هذا ما يُؤكد أن السلوك الإنساني لا يتسم بالبساطة، بل يتسم بالتعقيد.

٤- توجيه السلوك:

عندما يتم لنا معرفة خصائص وسمات السلوك.. هل يمكن توجيه السلوك بوسائل علمية لخدمة الفرد؟

الواقع أن فهم السـلوك ووصفه وتحليله، يُمكن من التوقع والتنبؤ بما يمكن أن يكون عليه هذا السـلوك، ومثل هذا التوقع (وقد سـبق إيضـاح ذلك عندما أوضـحنا ما يُعرف بتوقع السلوك) فمثلًا دراسة النمو الإنساني، تحدد وتُيسر الأمر في توجيه السلوك الذي فيـه إجماع على أهميتـه وتوافقه مع الحياة الاجتماعية، وما فيه النفع للفرد الذي نوجهه إلى مستقبل علمي أو دراسي أو مهني معين.

وإذا كان علم النفس والدراسـات النفسية، يهتم بدراسة كل ما يصدر عن الإنسان من سـلوك من خلال تفاعله مع البيئة المحيطة به، فإن هذا السـلوك يتسـم بالتشـعب والتنوع والتعدد.

فمثلًا دراسـة النمو الإنسـاني تُحدد السـلوك الإنسـاني خلال مـدارج العمر، التي تبدأ بالضـعف والوهن والعجز والاعتماد على الآخرين، وتنتهي كذلك مع اختلاف طبيعة الضـعف والاعتماد على الغير، وبين البداية والنهاية مراحل نضـج بنائي مُتعاقب يتم في

obeikandl.com

مراحل المهد والطفولة والمراهقة، فالرشد، تحدث فيها تغيرات وإحداثات ومظاهر نمائية واحتياجات ومطالب تتباين بتعاقب مراحل النمو حتى تصل إلى فترات ضعف ووهن متتابع يتم في الشيخوخة والكهولة. وهذا مصداقًا لقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ (الروم: ٥٤).

ودراسة التعلم بوصفه موضوعًا له أهميته القصوى في الدراسات النفسية، توجه الإنسان إلى أفضل وسائل إمكانياته العقلية والمعرفية، بما يضمن له الاستفادة من مواقف الحياة المختلفة، سواء كانت في الأسرة أو المدرسة أو المجتمع العام أو في المجالات المهنية.. والإنتاجية. وعلي جانب آخر دراسة التعلم تمكن الفرد من تحديد أنشطته.. الإدراك والتذكر والتخيل والتفكير والانفعال... إلخ.

ودراسة بناء الشخصية بوصفها موضوعًا أساسيًّا في الدراسات النفسية، توضح العناصر المهمة التي تسهم في تكوين بنية الشخصية، والأسباب التي تؤدي إلى سوائها وانحرافها، ووسائل علاجها، والفروق الكمية والنوعية في النواحي الجسمية والعضوية والعقلية والنفسية والاجتماعية، إضافة إلى توجيه الشخصية في المجالات التعليمية والمهنية على اختلاف أنواعها ومستوياتها.

هذا كله يجعل علم النفس يصل بدراساته إلى مختلف جوانب الحياة الإنسانية من أجل معرفة دقيقة لسلوك الإنسان، ومن أجل حاجات ومصلحة الإنسان وتوافقه مع ذاته ومع حياته العادية والاجتماعية. وفي مجالات الحياة المتنوعة، فإن علم النفس يُقدم خدماته في صورة وصفية أو تشخيصية أو في صورة تعليمية أو مهنية أو علاجية، أو توجيه وإرشاد، إلى آخر ما تعددت إليه ميادين وحقول علم النفس في دراساتها المشعبة.

الهدف من دراسة السلوك هو فهم السلوك والتنبؤ به والتحكم فيه.

openkanal.com

أنواع السلوك:

في تعبير جامع، يمكن القول: إن الدراسات النفسية تحاول وصف وتفسير ما يصدر عن الإنسان الفرد من سلوك يتمثل في:

١- السلوك الظاهر: كالأكل والشرب والمشي والتعامل اليومي بجميع أنشطته... إلخ.

٢- السلوك الباطن (الخفي): كالعمليات العقلية المختلفة أو العمليات الانفعالية كالانفعالات، والعواطف، والتفكير والتخيل والتذكر.

٣- السلوك الفطري: الذي يُزود به الإنسان عند خروجه إلى الحياة، كتناول الطعام والشراب والأمومة والعدوانية.

٤- السلوك المكتسب: الذي يكتسبه الإنسان ويتعلمه من واقعه الاجتماعي، الذي يتم تنشئته عليه، ويتم من خلاله اكتساب المعرفة والتعلم وبناء الأسرة والتعامل مع الآخرين وضروب أخرى عدة.

٥- السلوك السوي: الذي يتفق والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع، سواء كانت هذه العادات تتفق مع الشريعة الإسلامية داخل المجتمعات الإسلامية أو مع عادات المجتمع وتقاليده في المجتمعات المختلفة.

فيما يتعلق بالسلوك السوي أو الشاذ، فإن المعايير السوية والانحرافية، تختلف باختلاف العقائد والشرائع، ويعنينا في المجتمعات الإسلامية المعيار الإسلامي الذي يُحدد سوية السلوك بما يتفق مع الشريعة الغراء وأصولها القائمة على ما شرعه الله تعالى ومع السنة النبوية المطهرة.

ومن المعروف أن الدراسات في علم النفس، شأنها شأن العلوم الطبيعية والاجتماعية، تسعى جاهدة لوصف الظواهر الخاصة بالسلوك، حيث تقوم بالتوصل إلى المبادئ والقوانين العامة التي تُفسر ضروب السلوك الإنساني: السلوك اللفظي والسلوك المكتسب والحسي والحركي والسوي والمنحرف... إلخ. مع تحديد الشروط والعوامل

obeikandl.com

التي يتم عن طريقها السلوك، من حيث الاستعدادات والدوافع والميول التي تحكم هذا السلوك، إضافة إلى اهتمامات الدراسات النفسية بالتعلم وكيف يتم؟ ولماذا نتعلم؟ وما هي ضوابط التعلم، وما هو التفكير؟ وكيف نفكر؟ وهل يتوقف التفكير على مناطق خاصة في المخ؟ وما هو تأثير الانفعالات على التفكير؟ وهل تقوم الحيوانات بعملية التفكير؟.. وكيف يتم التذكر؟ وما الذي يُسهل عملية التذكر؟ ولماذا ننسى بعض الأشياء دون غيرها؟ وهل يمكن تقوية الذاكرة؟ وكيف نسمع ونحس ونُدرك العالم الخارجي؟ وما المقصود بالانتماء العاطفي؟ وماذا يحدث في أثناء الانفعالات؟ وما هي الصلة بين الانفعالات والأمراض الجسمية والعقلية؟ وكيف نُفسر السلوك الإجرامي؟ إلى غير ذلك من الأنشطة الإنسانية في مختلف مواقف الحياة، الظاهرة والباطنة، والاستجابات الناجمة عنها.

لذلك يمكن إجمالًا أن نقول: إن الدراسات الخاصة بعلم النفس، إنما هدفها الأسمى هو محاولة الكشف عن السلوك الإنساني المتكامل، وكيفية التوافق والتكيف للإنسان الفرد في حياته الاجتماعية.

طرق (مناهج) البحث في علم النفس:

لقد استحق علم النفس أن يكون علمًا بقدر ما أصبح يلتزم بالمنهج العلمي والطرق العلمية في دراسة وبحث الظاهرة النفسية.

والمقصود هنا بالمنهج العلمي Scientific Method هو الخطوات التي يتبعها الباحث أو العالم للوصول إلى الحقيقة المتعلقة بالظاهرة التي يبحثها.

(وهو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة تهيمن على سير العقل وتحديد عملياته حتى يصل إلى حقيقة معلومة).

ولكن ما هي خطوات المنهج العلمي؟ تتمثل خطوات المنهج العلمي فيما يأتي:

obeikandl.com

خطوات المنهج العلمي:

أولًا: الإحساس بالمشكلة:

حينما يواجه الإنسان موضوعًا غامضًا أو صعوبة معينة، فعليه أن يقوم بتحديد الأسباب التي أدت إلى وجود هذه المشكلة، وذلك من خلال جمع المعلومات التي تتعلق بالمشكلة، ومن ثم طرح سؤال البحث الذي يعبر عن هذه المشكلة، ومن خلال فهم وإدراك العلاقات بين المعلومات المختلفة تتضح مشكلة البحث، يستطيع الباحث فهم طبيعة هذه المعلومات، وكيفية ارتباطها بالمشكلة موضع الدراسة.

ثانيًا: فرض الفروض:

بعد ذلك يقوم الباحث بفرض عدد من الفروض التي يرى أنها قد تقدم إجابة عن سؤال أو أسئلة البحث، والفرض هو «توقع» من الباحث، أو هو تخمين ذكي للإجابة عن أسئلة البحث.

ثالثًا: اختبار الفروض:

ثم بعد ذلك يقوم الباحث بإجراءات عدة لاختبار الفروض، وذلك من خلال تصميم لتجربة محددة يتم من خلالها قبول الفرض الذي يقدم حلًا للمشكلة أو إجابة عن أسئلتها، كذلك يتم رفض أو عدم قبول الفروض التي لا تقدم حلولًا لمشكلة البحث، ويتم ذلك من خلال تحديد لعينة البحث، وتحديد أدوات البحث والمقاييس المستخدمة فيه لجمع البيانات والمعلومات.

رابعًا: معالجة البيانات:

وبعد جمع المعلومات والبيانات من خلال التجربة التي قام بها الباحث، يقوم بتصنيف هذه البيانات وتحليلها كميًا أو كيفيًا.

obeikandl.com

خامسًا: تفسير النتائج وتعميمها:

وفي هذه الخطوة يقوم الباحث بتفسير النتائج التي توصل إليها، وذلك من خلال إدراكه وفهمه العميق لأسباب حدوث المشكلة كما توصل إليها في إطاره النظري ومن خلال قبوله لفرض معين أو عدد من الفروض يرى أنها تقدم إجابة وحلًا لمشكلة البحث.

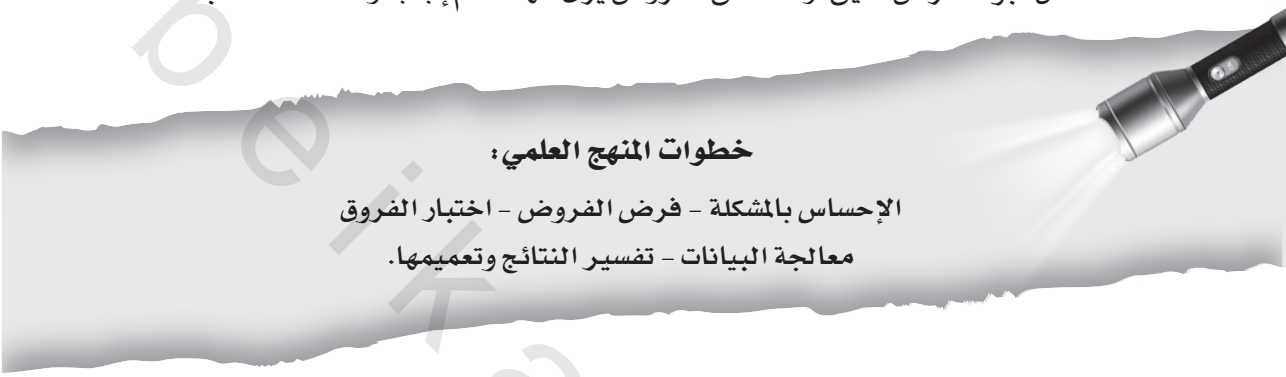

خطوات المنهج العلمي:

الإحساس بالمشكلة - فرض الفروض - اختبار الفروق
معالجة البيانات - تفسير النتائج وتعميمها.

ويستخدم الباحث في علم النفس عددًا من المناهج العلمية المختلفة، لدراسة السلوك، وذلك بحسب طبيعة ونوع الدراسة التي يقوم بها. ومن المناهج التي تُستخدم في البحوث والدراسات النفسية ما يأتي:

أولًا: منهج الاستبطان Introspection Method:

يعتمد هذا المنهج على مفهوم «التأمل الداخلي» أو التأمل الباطني أو الملاحظة الداخلية الذاتية Subjective Observation التي يقوم بها الفرد للتعبير عما يدور بداخله، والاستبطان ليس مجرد تأمل، ولكنه ملاحظة ذاتية لوقائع نفسية داخلية، حيث يقوم الفرد بوصف مشاعره بنفسه ومشاهدة ما يدور بداخله، ويُعدّ منهج الاستبطان من أول المناهج التي استخدمها علماء النفس.

مميزات منهج الاستبطان:

على الرغم من النقد الذي وجه لمنهج الاستبطان، وأن الفرد لا يستطيع دراسة نفسه بنفسه، إلا أن لمنهج الاستبطان مميزات هي:

- كثير ما يستخدم منهج الاستبطان بوصفه منهجًا أساسيًّا في دراسة الظواهر النفسية خصوصًا للسلوك غير الظاهر.

openkandil.com

- اعتمدت البحوث والدراسات النفسية منذ زمن بعيد على منهج الاستبطان.
- تُعدّ طريقة الاستبطان هي الأساس التي قامت عليه كثير من الاختبارات والمقاييس النفسية، وخاصة التي تستخدم لقياس الشخصية.
- كذلك تُعدّ طريقة الاستبطان هي الأساس الذي تعتمد عليه المقابلة الكلينيكية.

نقد منهج الاستبطان:

أهم ما يوجه لهذا المنهج من نقد أنه منهج يعتمد على الذاتية أي إنه منهج ذاتي Subjective Method. يعتمد أساسًا على مشاعر الفرد وإحساساته الداخلية، ولا يعتمد على الملاحظة الخارجية أو التجريب، أي لا يعتمد على الأساليب الموضوعية Objective Method، ويمكن أن نلخص أوجه النقد فيما يأتي:

- يعتمد على قدرة الفرد عن التعبير عن مشاعره باستخدام اللغة، واللغة التي يستخدمها الفرد قد لا تكون مرة صادقة لوصف ما يدور بداخله أو وصف مشاعره.
- لا يصلح هذا المنهج مع الأطفال أو البالغين الذين يعانون صعوبات لغوية.
- قد يجد الفرد حرجًا في الإفصاح عما يدور بداخله.
- تأثر الفرد بمعلوماته وخبراته السابقة.
- يعتمد هذا المنهج على الحالات الفردية التي لا يمكن من خلالها الوصول إلى قوانين عامة تمكننا من تفسير الحالات المماثلة.

وبعد أن عرضنا للملاحظات التي توجه لمنهج الاستبطان، ومميزات هذا المنهج نطرح السؤال الآتي: **هل استخدام الذاتية في البحث العلمي يُعدّ عيبًا أو نقصًا أو نقدًا للبحث العلمي؟**

وللإجابة عن هذا التساؤل، يذكر (منصور وآخرون، ١٩٨٩): «أننا لا نستطيع أن نضع حدًا فاصلاً قاطعًا بين ما هو ذاتي وما هو موضوعي، فالذاتية تكاد تتداخل في كل مراحل العمل العلمي».

obeikandl.com

وفـي هذا يقـول (عثمان، ١٩٨٧): «تتجلى الذاتية فيما نقـوم به من تجريد الواقع، أو تحديد أو تحييد أو عزل جانب من الواقع صـناعيًا، حتى يمكن إخضـاعه للقياس حتى يلائـم الأداة، ومـا وراءها من فكـرة أو رأي أو نظرية، وإن أي تنـاول للواقع وفق أداة من أدوات البحـث الموضـوعية لا يخلـو من تدخـل ذاتي، وتتضـح الذاتية في بنـاء الأدوات واختيارها، فالأدوات الموضـوعية ليسـت خالصـة الموضـوعية كما قد نحسب، وليست مبرأة من الذاتية كما نحب أن نعتقد، لا في تصميمها، ولا في تطبيقها ولا في التعامل مع ما تضـع بين أيدينا من معلومات....ويتطلب ذلـك أن يكون لدينا باحثون تتوازن عندهم الموضـوعية والذاتية، لا بالإقلال من شـأن الموضـوعية وأدواتها، وإنها في ذاتها كسب كبير للفكر والعلم وللتقدم الإنساني، ولكن بإنضاج الذاتية.

فالذاتيـة الناضـجة عنـد الباحـث العلمي هـي الذاتية التـي تعرف لكل شـيء في منهج العلم وأسـلوبه، قدره وقدرته، مداه وحدوده، نقصـه وقوته، سـواء أكان في جانب الموضوعية أم في جانب الذاتية».

وجدير بالذكر أنه مع ظهور اتجاه أو مدخل ما يسمى بتجهيز المعلومات Information Processing Approach وهو اتجاه حديث في علم النفس المعرفي Cognitive Psychology، يسـتخدم الباحثون ما يسـمى تحليل البروتوكولات Protocols Analysis، والبروتوكول هو طريقة تشـبه إلى حد كبير ما يقوم به الفرد عند استخدام منهج الاستبطان، حيث يقوم الباحث بتسـجيل طريقة المفحوص في الوصول إلى حل للمشكلة التي يواجهها سواء كان ذلـك في مجـال التذكر أو الإدراك أو الانتباه... أو غير ذلـك من العمليات المعرفية، ثم يقـوم الباحث بتحليل تلك البروتوكولات للوصـول إلى الإسـتراتيجيات التي اسـتخدمها المفحوص في الوصول إلى حل للمشكلة.

- **يعتمد منهج الاستبطان على التأمل الداخلي.**
- **العلاقة بين الذاتية والموضوعية في علم النفس.**
- **الذاتية وعلم النفس المعرفي.**

obeikandl.com

ثانيًا: المنهج (الطريقة) الوصفية Descriptive Method:

يستخدم الباحث المنهج الوصفي في دراسة الظاهرة السلوكية أو النفسية، وذلك عن طريق جمع المعلومات والبيانات حول هذه الظاهرة، وتصنيف هذه البيانات بطريقة تمكّن الباحث من تحليلها كميًا أو كيفيًا للوصول إلى تفسير علمي للظاهرة موضع الدراسة، وينقسم المنهج الوصفي إلى عدد من الطرق الفرعية كما يأتي:

١- الدراسات المسحية:

يتخذ هذا المنهج أشكالًا متعددة نعرض بعضها فيما يأتي:

قد يستخدم الباحث المنهج الوصفي للإجابة عن أسئلة المشكلة موضع الدراسة، مثل الوقوف على اتجاهات الطلاب نحو قضية معينة أو طريقة تدريس مقترحة، أو لاستطلاع آراء فئة معينة (عينة البحث) في طريقة إجراء الانتخابات في المجالس النيابية، أو جمع البيانات حول الإصابة بمرض معين، في هذه الحالة، فإن هذه الطريقة تسمى الطريقة المسحية Survey Method فالدراسات المسحية Survey studies «عبارة عن جمع بيانات ومعلومات وأوصاف مفصلة عن ظواهر موجودة بالفعل، وتجمع بقصد استخدامها، إما لتخطيط مستقبل أفضل أو لتحسين الأوضاع الاجتماعية، أو التربوية أو لمجرد تحديد الأوضاع أو الكفاءات عن طريق محكات عامة، أو عالمية، ويتوقف مجال الدراسات المسحية على طبيعة المشكلة محل البحث».

٢- الدراسات الارتباطية:

قد يستخدم الباحث المنهج الوصفي بغرض الوقوف على العلاقات المتبادلة بين عدد من المتغيرات التي تتضمنها مشكلة البحث، وذلك بهدف الوصول إلى تفسير أعمق للظاهرة موضع الدراسة، فمثلًا قد يدرس العلاقة بين التدخين والإصابة بمرض سرطان الرئة، أو العلاقة بين تعاطي المخدرات ومعدل ارتكاب الجريمة، أو العلاقة بين التفكك الأسري والتأخر الدراسي،...في هذه الحالة تسمى هذه الدراسات

obeikandl.com

الدراسات الارتباطية Correlation Studies فنتائج هذه الدراسة تُبين للباحث مدى ارتباط المتغيرات موضع الدراسة بعضها ببعض ودلالة هذه الارتباطات، فقد تكشف نتائج الدراسة مثلًا عن أن التدخين يرتبط ارتباطًا دالًّا بالإصابة بسرطان الرئة، ولكن لا تعني هذه النتيجة في مثل هذه البحوث أن التدخين هو سبب الإصابة بسرطان الرئة.

٣- الدراسات الطولية، والمستعرضة Longitudinal & Cross - Sectional Studies:

كثيرًا ما يستخدم الباحث في مجال دراسات النمو Development Studies أيًّا من الطريقة الطولية أو الطريقة المستعرضة، وذلك لتتبع تطور أو نمو ظاهرة سلوكية معينة، أو لدراسة الخصائص النمائية لمرحلة عمرية محددة، فمثلًا عند دراسة الباحث لنمو القدرة اللغوية لدى الأطفال في مرحلة من (٢- ٦ سنوات)، فعند دراسة هذه الظاهرة طوليًا يعني قيام الباحث بجمع المعلومات حول القدرة اللغوية لدى عينة البحث على مدى أربع سنوات، حيث يقوم الباحث بقياسات أو ملاحظات مقننة حول القدرة اللغوية وتتبع نموها لدى العينة نفسها، على فترات زمنية مختلفة، ما يستغرق وقتًا طويلًا.

ويمكن دراسة هذه الظاهرة نمو القدرة اللغوية لدى الأطفال من سن (٢-٦) سنوات بطريقة أخرى، وهي الطريقة المستعرضة، وتتلخص هذه الطريقة في اختيار عينة البحث من شرائح عمرية مختلفة، مجموعة في سن سنتين، ومجموعة في سن ٣ سنوات، ومجموعة أخرى في سن ٤ سنوات، وأيضًا مجموعة في سن ٥ سنوات، ومجموعة أخيرة في سن ٦ سنوات، ثم يقوم الباحث بجمع البيانات بإجراء القياسات الخاصة بالقدرة اللغوية لكل شريحة عمرية وملاحظة نمو القدرة اللغوية لدى عينة البحث.

وبذلك، فإنه يمكن دراسة عدد كبير من الخصائص النفسية النمائية لدى مجموعات متعددة من المفحوصين في وقت قصير، وإن هذه الطريقة المستعرضة توفر الكثير من الوقت، كذلك توفر جهد الباحثين، ومن ثم، فإن الدراسات المستعرضة هي الأكثر استخدامًا في مجال البحث في علم نفس النمو، ومن عيوب هذه الطريقة، أن القياسات لا تتم على مجموعة واحدة من المفحوصين - كما في الدراسات الطولية - وقد تتأثر نتائج البحث بالفروق بين المجموعات المختلفة، ما يجعل النتائج أقل دقة من

openkanal.com

الدراسات الطولية؛ لأنها غالبًا لا تعطي صورة صادقة للواقع؛ وذلك لأن العينة المنتقاة للبحث ليست هي نفسها، فقد توجد فروق بين كل مجموعة من المجموعات الأخرى، مهما بلغت عملية الانتقاء من الدقة والموضوعية.

في مقابل ذلك، فإن الدراسات الطولية أكثر دقة وصدقًا؛ لأنها تجرى على مجموعة واحدة فقط، ويتم متابعة هذه المجموعة على حِقب زمنية، إلا أن الدراسات الطولية يؤخذ عليها أنها تتطلب وقتًا وجهدًا، وإن بعض أفراد العينة قد يتسرب دون استكمال الدراسة، ويتعرض أفراد عينة البحث إلى بعض الأحداث خلال مدة الدراسة التي قد تؤثر في نموهم سلبًا أو إيجابًا، كذلك فإن أساليب الدراسة قد تتغير من مدة لأخرى، حيث قد يكتشف الباحث أساليب أكثر دقة وإتقانًا من الأسلوب الذي كان يستخدمه، ما يفرض عليه إدخال التعديلات على أساليب البحث وتطويرها.

جدول (١) المقارنة بين الدراسات الطولية والدراسات المستعرضة

الخصائص	الدراسة المستعرضة	الدراسة الطولية
إجراءات البحث	قياس سمة أو عدد من السمات لمجموعات عمرية مختلفة في الوقت نفسه، وفي مدة زمنية قصيرة	قياسات متعددة لسمة أو عدد من السمات لمجموعة واحدة لفترات زمنية طويلة
الوقت	تستغرق وقتًا قصيرًا لجمع البيانات	تستغرق وقتًا طويلًا لجمع البيانات
الكلفة	قليلة التكاليف	عالية التكاليف
الجهد البشري	يمكن جمع أكبر كمية من المعلومات في وقت قصير	تتطلب عددًا كبيرًا من الباحثين أو فريقًا بحثيًّا
أهم المميزات	تتطلب عددًا قليلًا من الباحثين	تُمكّن الباحث من دراسة التغيرات النمائية الفردية
أهم العيوب	تهمل التغيرات النمائية داخل الفرد نفسه	تسرب بعض أفراد العينة

obeikandl.com

٤- دراسة الحالة Case Study:

«تُعدّ دراسة الحالة نوعًا من البحث المتعمق لحالة ما، وقد تكون هذه الحالة فردًا أو مؤسسة أو مجتمعًا محليًّا، كالأسرة أو المدرسة، عن طريق جمع المعلومات والبيانات عن الوضع الراهن للحالة، وخبراتها الماضية وعلاقتها بالبيئة، ويتم ذلك باستخدام أدوات بحثية مناسبة للوقوف على القوى المؤثرة في الحالة وإدراك العلاقات بينها».

ويمكن أن تستخدم دراسة الحالة بوصفها وسيلة لجمع البيانات والمعلومات في دراسة وصفية، ويمكن أيضًا استخدامها في دراسة لاختبار فرض بشرط أن تكون الحالة ممثلة للمجتمع الذي يراد تعميم الحكم عليه، بحيث تستخدم أدوات قياس موضوعية لجمع البيانات وتحليلها وتفسيرها حتى يمكن تجنب الوقوع في الأحكام الذاتية.

وبذلك، فإن: «دراسة الحالة تُعدّ نوعًا من الفحص المكثف والعميق لحالة فردية كانت أو لمجموعة من الأفراد، يتم التعرف من خلالها إلى الخصائص المتفردة التي تسهم بشكل فعال في فهم السلوك الإنساني».

وتُعدّ دراسة الحالة إحدى وسائل القياس النفسي التي تُستخدم لجمع البيانات والمعلومات التي تساعد الباحثين على بناء أحكام تقويمية تفيد في اتخاذ القرارات المناسبة حول المفحوص موضع الاهتمام، وكلما كانت المعلومات حول الفرد متوافرة ودقيقة كان القرار المتخذ حياله مناسبًا، فالقرار الجيد هو الذي يُبنى على قاعدة من المعلومات الكافية الخاصة بالمفحوص.

ولدراسة حالة طالب يعاني التأخر الدراسي يحتاج الباحث إلى جمع البيانات العامة التي تشمل اسم المسترشد (العميل)، وتاريخ ميلاده، وتاريخ المقابلة، والمدرسة أو الجامعة، والمستوى الدراسي وتاريخ تسجيل الحالة، ومصدرها، ثم جمع بيانات عن المشكلة، وتتضمن وصفًا للمشكلة، التاريخ التعليمي، وسلوك المسترشد، والحالة الاجتماعية والاقتصادية والحالة الصحية، والجوانب الانفعالية، والعلاقات الاجتماعية،

obeikandl.com

وأنشطة وقت الفراغ، والمخاوف والقلق، ومواجهة المشكلات والضغوط واتخاذ القرارات، والجوانب المهنية، والسلوك الديني، والأنشطة الصفية واللاصفية، والأنشطة الرياضية والاجتماعية.

مميزات دراسة الحالة:

أ- تتيح دراسة الحالة تقديم دراسة متكاملة ومتعمقة ومركزة للحالة، حيث يركز الباحث على موضوع واحد في دراسة فرد أو جماعة أو مؤسسة اجتماعية أو مجتمع محلي، بوصفه وحدة واحدة، ومن ثم لا يتشتت جهده في دراسة موضوعات متعددة في آن واحد، وبذلك تتيح البيانات الوافية والحقائق الشاملة التي يجمعها الباحث عن حالة واحدة في المساعدة على بحث المشكلة بعمق يسهم في معرفة الأسباب الأساسية للحالة.

ب- تعطي الطبيعة الاستكشافية للحالة للباحث بصيرة تؤدي به إلى صياغة الفروض النافعة.

جـ- يمكن أن تساعد المعلومات التي يجمعها الباحث في دراسة الحالة، على فهم ودراسة حالات أخرى لها الظروف نفسها.

نقد دراسة الحالة:

أ- لا يمكن اشتقاق تعميمات من حالة واحدة وتطبيقها على كل الحالات في المجتمع؛ لأن تعميم النتائج يتطلب عينات ممثلة لمجتمع الدراسة.

ب- الذاتية، فقد تتأثر نتائج الدراسة بذاتية الباحث من حيث إصدار أحكام عن أخلاق ودوافع أفراد الحالة، ما قد يؤثر في النتائج بالمعايير الشخصية والأحكام الذاتية ما يتطلب تسجيل المعلومات بدقة وموضوعية، وتأجيل إصدار الأحكام حتى تتجمع لدى الباحث الأدلة الكافية لتأييد النتائج.

obeikandl.com

جـ- اهتمـام بعض الباحثين ببعض الوقائع التي يعتقدون أنها أهم من غيرها، وأبعد أثرًا في حل المشـكلة، فيعطونها قيمة كبيرة، ويهملون وقائع أخرى قد تكون أكثر إسهامًا من غيرها في حل المشكلة.

د- إن المعلومـات التي يقدمها الفرد موضـوع الحالة عن نفسـه، وعـن خبراته الحالية والماضـية قد لا تكون دقيقة وسـليمة، حيث لا يكشف عنها عمدًا، أو تضيع معه بعض التفاصيل بسبب عوامل النسيان.

٥- الدراسة الكلينيكية Clinical Studies:

تجمع الدراسـات الكلينيكية بين اسـتخدام الاختبارات والمقاييس وبين الملاحظة الطبيعية بهدف التوصل إلى نظام من المعلومات حول الفرد، والطريقة الكلينيكية قوامها دراسة الحالة، بغرض جمع المعلومات والبيانات حول المفحوص موضع الدراسة.

فالطريقة الكلينيكية تعني التركيز على دراسة الحالات الفردية التي تمثل الظاهرة المراد دراسـتها، حيث يقـوم الباحث باسـتخدام أدوات البحث النفسـي المختلفة التي تمكنه من دراسـة الحالة، دراسة شاملة ومتعمقة حتى تصل به إلى فهم للعوامل العميقة في شخصية المفحوص التي تأثرت بالظاهرة موضع الدراسة أو أثرت فيها، وإلى المنطق السـيكولوجي والمبـرر العلمـي لهذا التأثيـر والتأثر، ويسـتخدم الباحث في الدراسـات الكلينيكيـة الاختبارات الإسـقاطية التي تقيس أعماق النفس الإنسـانية دون الاكتفاء بما يظهر على السطح، بل تتخذ ما يظهر مدخلًا إلى ما يتخفى في الأعماق وإذا ما استخدم اختبـارًا مـن طبيعة كمية، يقوم بتحليل اسـتجاباته ودرجاته تحليلًا كيفيًا، للوصـول إلى سيكولوجية الأعماق والتحليل النفسي لديناميات الشخصية استخدامًا موسعًا.

وبذلك، فإن اسـتخدام الدراسـة الكلينيكية في البحوث النفسـية يعطي الباحث صورة متكاملة عن شخصية الفرد بكاملها، صورة عن خصائص هذه الشخصية، وما يدور بداخلها، وعناصر قوتها، ومواطن ضعفها، واتزانها، واضطرابها، صورة عن تكاملها أو تصدعها...

openkanal.com

ولما كانت الدراسة الكلينيكية تمتاز بهذا العمق والشمول، فإنها تتطلب جهدًا ووقتًا كبيرين من جانب الباحث، ومن ثم فإنه يصعب عليه دراسة عينة ذات حجم كبير... ولكن العمق والشمول في الدراسة الكلينيكية يُعدّ من الضعف المتمثل في صغر حجم العينة.

مميزات الدراسة الكلينيكية:

- القدرة على الوصول إلى أعماق النفس البشرية وإظهار خباياها وكشف مكنوناتها، وتلك أمور يصعب على غيره من المناهج تحقيقها.
- إعطاء صورة شاملة ومتكاملة عن الشخصية.
- يمكن استخدام الدراسات الكلينيكية في تعميق نقطة من نقاط وبحث يُستخدم له أي من المناهج الأخرى بصفة أساسية، وتُعدّ هنا الدراسة دراسة مساعدة أو معاونة للكشف أو تفسير نتيجة حالة فردية.

المآخذ التي توجه إلى الدراسات الكلينيكية:

- عدم وجود ضوابط محددة، ما يسمح للذاتية أن تؤثر في النتائج، فتقل تبعًا لذلك الموضوعية، التى تُعدّ أهم ركائز البحث العلمي.
- النتائج التي نتوصل إليها من خلال الدراسات الكلينيكية، لا يمكن تعميمها، حيث إنها تمثل دراسة لحالة فردية، وفي أحسن تقدير دراسة لعينة صغيرة الحجم.

هذا، ويحتاج استخدام الدراسات الكلينيكية في البحوث النفسية، إلى تأهيل الباحث تأهيلًا علميًا دقيقًا، وخبرة واسعة، وبصيرة نافذة، وشخصية ناقدة... فهذا من شأنه التقليل من العوامل الذاتية، والأخذ بيد الدراسات الكلينيكية نحو الموضوعية.

وبعد أن عرضنا للمنهج الوصفي، والدراسات التي تصنف ضمن هذا المنهج (الدراسات المسحية، الدراسات الارتباطية، الدراسات الطولية والمستعرضة، دراسة الحالة).

obeikandl.com

ونتناول فيما يأتي تقويمًا للبحوث الوصفية:

مميزات البحوث الوصفية:

أ ـ تمدنا الدراسات الوصفية بمعلومات عملية وحقائق يمكن أن تبنى عليها مستويات أعلى من الفهم العلمي.

ب ـ تُعدّ البحوث الوصفية خطوة ضرورية، وتُعدّ في بعض الأحيان هي الطريقة الوحيدة في الدراسات الاجتماعية ودراسات السلوك الإنساني.

ج ـ تساعد على وصف وتفسير المشكلات التربوية التي تواجه المجتمع، وتكشف عن التطورات والظروف والاتجاهات المستقبلية.

د ـ قد تساعد بعض الدراسات الوصفية على التنبؤ بمستقبل الظواهر المختلفة من خلال تقديم صورة عن معدل التغير السابق في ظاهرة ما بما يسمح بالتخطيط للمستقبل.

عيوب البحوث الوصفية:

أ- احتمالية عدم دقة النتائج، حيث لا يمكن أن تؤدي الدراسات الوصفية إلى نتائج ذات أهمية إذا اعتمدت على بيانات خاطئة.

ب- تأثر النتائج بذاتية الباحث، فقد يحدث أحيانًا أن يعكس الملاحظ ذاتيته على الظاهرة موضع الدراسة، ما قد يؤدي إلى اختلاف النتائج من باحث لآخر.

جـ- صعوبة اختبار الفروض، حيث يتم ذلك في الدراسات الوصفية عن طريق الملاحظة وجمع المعلومات، دون استخدام التجربة العلمية لاختبار الفروض، وبالطبع، فإن الباحث لا يستطيع ملاحظة كل العوامل أو قد يُغفل بعضها، وبذلك فلا يستطيع التوصل إلى اختبار الفروض لتقبل ما يقدم منها حلًا للمشكلة أو رفض الفروض التي لا تقدم حلولًا أو تفسيرًا لمشكلة الدراسة.

openkandil.com

د- تعميم النتائج، فمعظم البحوث الوصفية محددة بمدة زمنية معينة؛ فإن نتائجها قابلة للتطبيق فقط داخل حدود وقتية قصيرة نسبيًا، حيث إن الظواهر الاجتماعية والسلوكية تتغير وفقًا للزمان والمكان.

هـ- القوة التنبُّئِيّة للبحوث الوصفية، معظم الدراسات الوصفية محددة من حيث المكان، حيث إن الظاهرات الاجتماعية والنفسية ذات طبيعة مركبة ومعقدة، ولا يمكن التنبؤ بحدوثها، كما يحدث في العلوم الطبيعية.

تشمل الدراسات الوصفية:

الدراسات المسحية - الدراسات الارتباطية - الدراسات الطولية والمستعرضة دراسة الحالة - الدراسة الكلينيكية.

ثالثًا: المنهج (الطريقة) التجريبية Experimental Method:

يُعدّ المنهج التجريبي من أكثر المناهج علمية، من حيث الموضوعية والدقة والضبط الدقيق للمتغيرات، فالباحث باستخدامه المنهج التجريبي، يقوم بملاحظات موضوعية لجمع الحقائق والمعلومات عن طبيعة المشكلة وأسبابها، ومن ثم يستخلص الفروض التي تُعدّ بمنزلة حلول مؤقتة أو تخمين ذكي من الباحث لحل المشكلة، ثم يقوم بعد ذلك بتصميم التجربة التي من خلالها يمكن للباحث اختبار الفروض والوصول إلى حلول وتفسيرات لمشكلة بحثه، ومن خلال ذلك يتوصل الباحث إلى عدد من النتائج والقوانين التي تمكنه من تفسير الظواهر، وتكشف عن طبيعة العلاقات التي تكون سببًا للظاهرة.

«ويعرف البحث التجريبي بأنه تغيير متعمق ومضبوط للشروط المحددة لواقعة معينة وملاحظة التغيرات الناتجة عن هذه الواقعة ذاتها وتفسيرها».

- والبحث التجريبي يتضمن محاولة لضبط كل العوامل الأساسية المؤثرة في المتغير أو المتغيرات التابعة في التجربة ماعدا عاملًا واحدًا يتحكم فيه

الباحث ويغيره على نحو معين بقصد تحديد وقياس تأثيره في المتغير أو المتغيرات التابعة.

- والبحث التجريبي يقوم أساسًا على أسلوب التجربة العلمية التي تكشف عن العلاقات السببية بين المتغيرات المختلفة في الموقف التجريبي.

والتجريب في الدراسات والبحوث النفسية له قيمة بالغة، حيث يمثل الطريقة العلمية التي يمكن من خلالها دراسة العلاقة بين متغيرين أو عدد من المتغيرات، باعتبار أن هناك متغيرات «مستقلة» وأخرى «تابعة» هذا، وينقسم التجريب كما يحدث في الدراسات والبحوث النفسية إلى ثلاثة أنواع؛ وهي:

أ- التجريب في الموقف الطبيعي:

حيث تتم التجربة بإدخال المتغيرات على الظاهرة موضع الدراسة في المواقف والظروف الطبيعية.

ب- التجريب داخل المعمل:

ويتم ذلك حينما يتعذر القيام بالتجربة في المواقف والظروف الطبيعية، حيث تجرى التجربة في ظروف اصطناعية قريبة الشبه بالواقع.

ج- التجريب على الحيوان:

يتم ذلك في الحالات التي يصعب فيها إجراء التجربة على الإنسان، سواء كان ذلك في المواقف الطبيعية، أو داخل المعمل، ويتم ذلك في التجارب الخاصة بعلم النفس الفسيولوجي، وعلم النفس العصبي، وعلم النفس المقارن.

هذا، وتُصمم التجربة لاختبار فرض مؤداه أن (أ) يؤدي إلى حدوث تغير أو أثر في (ب).

obeikandl.com

في هذه الحالة، فإن (أ) يسمى متغيرًا مستقلًا Independent Variable أو المتغير التجريبي Experimental Variable، أو المثير Stimulus أو سببًا Cause، بينما (ب) يسمى متغيرًا تابعًا أو متغيرًا لاحقًا Consequent أو أثرًا Effect ويتم ضبط جميع الشروط - سوف نتحدث عنها فيما بعد - فيما عدا المتغير المستقل (أ) الذي يتناوله بالتغيير، ثم نلاحظ ما يحدث للمتغير التابع نتيجة لتعرضه للمتغير المستقل.

وللمنهج التجريبي عدد من المتغيرات هي:

- **المتغير المستقل:** وهو المتغير الذي يريد الباحث أن يدرس أثره في المتغير التابع.
- **المتغير التابع:** وهو المتغير أو الظاهرة التي تتأثر وفق التغيرات التي تحدث في المتغير المستقل.
- **المتغيرات الوسيطة:** هي المتغيرات التي تقع بين المتغير المستقل والمتغير التابع ويمكن أن تؤثر في نتائج التجربة، وعلى الباحث ضبط هذه المتغيرات.

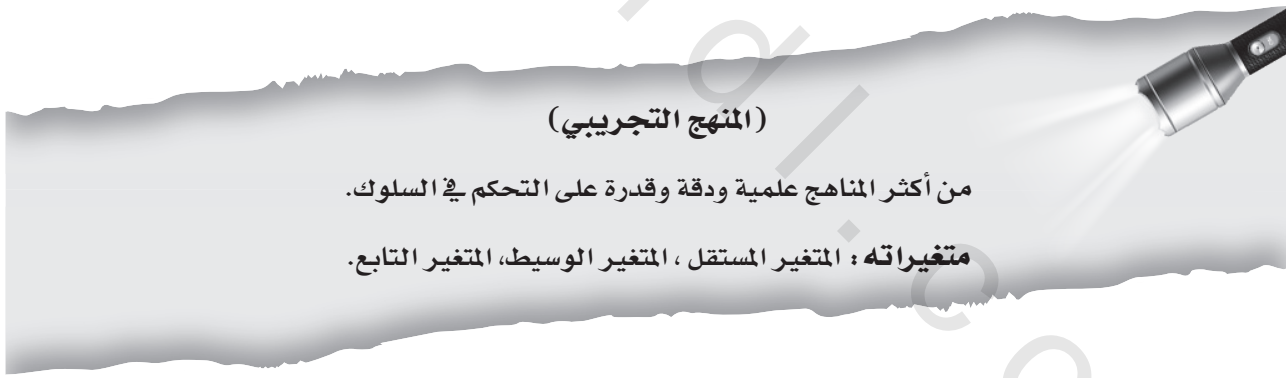

(المنهج التجريبي)

من أكثر المناهج علمية ودقة وقدرة على التحكم في السلوك.

متغيراته: المتغير المستقل، المتغير الوسيط، المتغير التابع.

وبعد أن عرضنا للإجابة عن سؤال هل علم النفس يُعدّ علمًا؟، والأهداف التي يسعى علم النفس لتحقيقها، وخطوات المنهج العلمي، ومناهج البحث المختلفة في مجال علم النفس، نستطيع القول: إن علم النفس يهتم بالدراسة العلمية للسلوك والعقل والتفكير والشخصية، ويمكن تعريفه بأنه: (الدراسة العلمية لسلوك الكائنات الحية، وخصوصًا الإنسان، وذلك بهدف التوصل إلى فهم هذا السلوك وتفسيره والتنبؤ به والتحكم فيه).

obeikandl.com

تلخيص:

- يهتم علم النفس بدراسة السلوك عند الإنسان الفرد والجماعة، وفهم طبيعة السلوك وتفسيره وتقويمه وتعديله، وما يتوقع منه مستقبلًا.
- السلوك هو ما يُمثل جميع الأنشطة التي يقوم بها الإنسان، وتصدر منه، ويستطيع أن يلاحظها الفرد أو غيره.
- جوانب دراسة السلوك تقوم على: فهم السلوك - التوقع- التعقد (أي إنه ليس سلوكًا بسيطًا) - التفسير -التكيف - التوجيه.
- أنواع السلوك: الظاهر - الباطن (الخفي) - الفطري - المكتسب - السوي والمنحرف.
- مناهج وطرائق السلوك: المنهج التجريبي - الاستنباطي - الخبرة الشخصية.

أسئلة وتمارين:

١- لماذا نهتم بدراسة علم النفس؟

٢- ما الذي نقصده بالسلوك؟

٣- عدِّد جوانب الدراسة في السلوك - وبيِّن المقصد من فهم السلوك وتفسيره وتوجيهه.

٤- يتمثل السلوك في أنواع مختلفة - وضح.

٥- في مناهج وطرائق دراسة السلوك: المنهج التجريبي - والمنهج الوصفي - اشرح.

obeikandl.com

الفصل الثاني

السلوك الإنساني
قضايا علم النفس وميادينه

- **الأهداف:**

(١) أن يتعرف القارئ إلى الجانب النظري والعملي في دراسة السلوك.

(٢) أن يربط بين قضايا علم النفس والمنهج الإسلامي.

(٣) أن يعدد مجالات دراسة السلوك في علم النفس.

(٤) أن يتعرف إلى ميادين علم النفس.

(٥) أن يقارن بين الفروع المختلفة لعلم النفس النظري.

(٦) أن يصنف علم النفس التطبيقي إلى الفروع المختلفة.

(٧) أن يحدد العلاقة بين علم النفس والعلوم الأخرى.

(٨) أن يحدد العلاقة بين علم النفس والعلوم السلوكية.

(٩) أن يعدد مجالات البحث في علم النفس.

(١٠) أن يتعرف إلى دور المنهج الإسلامي في دراسة قضايا علم النفس.

(١١) أن يقدر جهود العلماء في دراستهم للسلوك بطرائق متعددة.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثاني

السلوك الإنساني
قضايا علم النفس وميادينه

تمهيد:

يُحدد هذا الفصل ميادين علم النفس، التي محور الدراسة فيها «السلوك» وفيما يأتي ما يتصل بأهداف الدراسات في علم النفس القائمة على دراسة السلوك الإنساني، وما تتشعب إليه الدراسات في علم النفس من ميادين نظرية وتطبيقية، وموضع علم النفس التربوي في ميادين علم النفس، وأهمية علم النفس التربوي بالنسبة إلى المعلم والمتعلم الذي نحدد له الفصل الثالث.

• الجانب النظري والعملي في دراسة السلوك:

تستخدم الدراسات النفسية بصفة عامة المنهج العلمي والتجريبي في الكشف عن السلوك الإنساني، حيث تهدف هذه الدراسات إلى:

١- **دراسة السلوك وتفسيره تفسيرًا موضوعيًّا**، وتمثل هذه الدراسة الجانب النظري أو العملي لعلم النفس. وفي هذا ما يُعاون على فهم الذات، وفهم من نعاشر ونتعامل معه، ويتم ذلك من خلال الوقوف على الدوافع الفطرية، ومن ثم الاهتمام بسمات الشخصية وما يتوافر لها من إمكانيات، وتحديد أسباب ما يظهر من السلوك السوي أو الانحراف، هذا إلى جانب الكشف عن الجوانب العقلية والمعرفية التي تحفز التعلم أو تشتت الانتباه... إلخ.

obeikandl.com

٢- **التنبؤ بالسلوك:** عن طريق فهم الظواهر ومسبباتها وخصائصها، حيث يُعين ذلك على التنبؤ بحدوثها وضبطها والتحكم فيها.. وهذا التنبؤ من الأهداف العملية للدراسات النفسية، فتحديد الاستعدادات وقياس المهارات مثلًا، يمكن عن طريقها التنبؤ بصلاحية الفرد لدراسة أو عمل مهني معين. ودراسة الدافعية الخاصة بسلوك معين، يمكن أن تعاون في التنبؤ بكيفية توجيه ورعاية فرد يعيش ضغوطًا معينة.

٣- **من الأهداف التطبيقية للدراسات النفسية الالتزام والتحكم والتنبؤ بالسلوك،** الذي يُعاون في الكشف عن طبيعة السلوك. وإن كان ذلك صعبًا للغاية؛ لتعدد العوامل وتشابك الدوافع التي توجه السلوك، وتحدده.

هذا، وتهدف الدراسات النفسية في العالم المعاصر بجميع مجالاتها وفروعها، إلى تطبيق المنهج التجريبي، للكشف عن السمات السلوكية وخصائص الأفراد والجماعات.

تحقيق قضايا علم النفس والمنهج الإسلامي:

جدير بالذكر أن المنهج الإسلامي مصدره القرآن والسنة، فالقرآن الكريم كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والسنة النبوية المطهرة التي ترك رسول الله ﷺ أمة الإسلام من خلال التمسك بها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، هما من المصادر الرئيسة للمعارف النفسية المحددة للسلوك الإنساني، ففيهما بيان للحياة الفاضلة، وإرشاد إلى طريقها، وفيهما توضيح لأحوال النفس وعوامل تزكيتها، وفيهما تفسير لأمراض القلب، وانحرافات النفس وطرق علاجها والوقاية منها، وفيهما تفسير لحاجات النفس والجسم والروح، وسبل إرضائها بما يحقق التوازن والتكامل بينها، وفيهما هداية إلى العبادات والمعاملات التي تحقق توافق الفرد مع ربه ونفسه والناس، توافقًا يُشعره بالسعادة في الدنيا والآخرة، ويُصلح أمره وأمر الناس من حوله.

obeikandl.com

والمعارف النفسية التي نحملها من فهم القرآن والسنة، تبين لنا بلغة علم النفس الحديث مسالك سوية السلوك والصحة النفسية، وكيفية التماسها، وطريق الوهن في النفوس وكيفية اجتنابه، وتوضح لنا علامات الوهن وكيفية علاجها.

وتقوم هذه المعرفة على الإيمان بالله ورسوله، فإذا وجدنا في القرآن أو في أحاديث الرسول ﷺ، أن هذا الأمر يُصلح النفس ويزكيها، وذاك يُفسدها ويشقيها، نصدقه ونسلم به؛ لأنه الحق من عند خالق النفس العليم بأسرارها، الخبير بما يُسعدها ويشقيها، وعلينا أن نلتزم بأمره في الصلاح، وننتهي بنهيه سبحانه عن عوامل الفساد والشقاء، ويتوافر في المعرفة النفسية الدينية شروط المعرفة العلمية أكثر مما تتوافر في المعرفة النفسية التي نحصل عليها من علم النفس الحديث، فمن خصائص هذه المعرفة الثبات والاتساق والموضوعية، وصلاحيتها لتفسير سلوك الناس، والتنبؤ به، والتحكم فيه في كل زمان ومكان؛ لأنها من عند الله، خالق الناس، الخبير بأمورهم، العليم بأحوالهم. والأدلة على ثبات هذه المعرفة واتساقها وموضوعيتها كثيرة، نسوق منها ما يأتي:

١- نظرة الإسلام إلى طبيعة الإنسان من حيث إنه خُلق في أحسن تقويم، ولديه الاستطاعة لعمل الخير وعمل الشر، وله إرادة في اختيار أفعاله، ومسؤول عن هذا الاختيار، وهذه النظرة ثابتة منذ أربعة عشر قرنًا، لا تبديل ولا تعديل فيها، بينما عندما نتابع نظرة علماء النفس المحدثين إلى طبيعة الإنسان في المئة سنة الماضية - وهي عمر علم النفس الحديث - نجد نظرات متباينة، تعكس فلسفات مختلفة.

فعلماء التحليل النفسي اعتبروه شريرًا بطبعه وسلوكياته حتمية، وعلماء السلوكية اعتبروه صفحة بيضاء تشكله البيئة التي يعيش فيها، وهو كالآلة يستجيب للمثيرات بعادات سلوكية تعلمها من مجتمعه، بينما قرب علماء المذهب الإنساني في علم النفس من نظرة الإسلام للإنسان، فاعتبروه خيرًا بطبعه، ومسؤولًا عن أفعاله؛ لأنه يختارها بإرادته. وهذه النظرة الأخيرة صححت مسار علم النفس الحديث، وجعلته ينظر إلى الإنسان بوصفه إنسانًا، وليس بوصفه آلة أو مجموعة من العقد النفسية، أو حيوان تجارب.

obeikandl.com

٢- ثبات واتساق المعرفة النفسية الإسلامية، حيث نجد أن نظرة الإسلام إلى الإنسان على أنه كُل متكامل من نفس وجسم وروح، لا يمكن الفصل بينها، وفي منهجه لتحقيق التوازن في إشباع حاجات النفس والجسم والروح، دون إفراط ولا تفريط في أي منها. في حين اختلفت مدارس علم النفس الحديث حول هذه القضية، فعلماء التحليل النفسي والسلوكية اعتبروا الإنسان مكونًا من نفس وجسم، وأهملوا حاجات الروح، ثم جاء علماء المذهب الإنساني، وصححوا هذه النظرة بإضافة البعد الروحي، واعتبروا الإنسان كلًّا متكاملًا من نفس وجسم وروح.

وهكذا نجد أن علم النفس كلما تقدم في دراساته تبنى نظرة الإسلام إلى الإنسان كما جاءت في القرآن والسنة، ما يزيدنا اقتناعًا بأهمية المعرفة النفسية من الناحية الدينية عن النفس الإنسانية، حتى نهتم بالنفس البشرية وبأساليب تركيبها، وطرق وقايتها وعلاجها من الانحراف.

ومن حيث كان الاهتمام بقضايا علم النفس - بالدرجة الأولى - «سلوك الإنسان» فإنه من المعروف أن العلوم التجريبية التي تعتمد على إجراء التجارب تهدف إلى الوصول إلى القوانين العلمية التي تحكم الظواهر التي تدرسها، أو التي تبحث في موضوعات محددة، وذلك يميزها عن باقي العلوم الأخرى، والمنهج في العلوم التجريبية يعتمد على المنهج العلمي الذي يفترض فروضًا أو مسلمات تفسر الظواهر، وتحتاج إلى التحقق من الفروض - أي اختبار مدى صدقها أو زيفها، حيث يتم ذلك عن طريق عمليات عدة، كالملاحظة والتجربة والتعميم والمقارنة، هذا وتختلف العلوم من حيث أساليب تحقيق هذه الفروض. لذلك يمكن تصنيف العلوم إلى قسمين أساسيين:

١- العلوم التي يتم تحقيق قضاياها عن طريق الكشف عن الأصول والنصوص، مثل العلوم الشرعية والتاريخية، ومعيار الصواب والخطأ في هذه العلوم إما مقبولاً وإما مرفوضًا، مثلما نحكم على أمر أحله الله أو حرمه، أو أنه متفق أو متعارض مع الشريعة، حسبما ورد في كتاب الله الكريم وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، وحسبما يرد من الأوامر والنواهي.

obeikandl.com

٢- والعلوم التي يتم تحقيق قضاياها عن طريق الملاحظة للظواهر موضع الدراسة، وإجراء تجارب في ظروف ضبط تجريبي محدد، ومقارنة النتائج والوصول إلى النتائج والتعميمات، وفي هذه العلوم يكون الاتفاق والاختلاف للقضايا المطروحة مع الواقع القائم أمرًا واجب البحث، فيما يتعلق بالدراسات التجريبية في العلوم الإنسانية، وبصفة عامة فإن البحوث الإسلامية، تنادي بعدم تعارض نتائج هذه الدراسات مع شرائع الكتاب المنزل والسنة المطهرة، حيث لا جدال فيما نزل به الحق تعالى، وما نادى به المصطفى عليه الصلاة والسلام، خاصة فيما تتناوله نتائج الدراسات التجريبية من صدق نتائجها الذي في أعم الأحوال يكون صدقًا نسبيًّا، بينما حُكم الله أصدق قيلًا وسنة نبيه حجة على هذه النتائج، ولا جدال في ذلك البتة.

وعلم النفس المعاصر، يجمع بين كلا النوعين من العلوم، فالكتاب والسنة يكشفان لنا عن طبيعة الإنسان وعن النفس: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ (الشمس: ٧ - ٨)، وعن دوافع السلوك، وحاجات الإنسان، وكيف يتم إشباعها من خلال ضبط السلوك والتحكم فيه، والتنبؤ بالسلوك. لذلك هناك المجتهدون من علماء اليوم الذين يحاولون الجمع بين دراساتهم التجريبية للكشف عن الظواهر السلوكية، والربط بينهما وبين الهدي الإسلامي فيما يعرف بـ «التأصيل الإسلامي للعلوم والدراسات النفسية»، أو التوجيه الإسلامي للدراسات النفسية، أو أسلمة المعارف النفسية، أو التفسير الإسلامي للسلوك البشري.

مجالات دراسة السلوك في علم النفس:

فيما سبق، يتبين أن اهتمامات علم النفس تقوم على دراسة سلوك الإنسان، عن طريق دراسة:

١- الاستعدادات والقدرات الخاصة بالأفراد في النواحي الحركية والحسية والنفسية والعقلية والانفعالية والاجتماعية.

obeikandl.com

٢- ما يصدر عن الإنسان من سلوك حركي أو لفظي، كالمشي والجري والأكل والكلام والاعتداء والهرب والقفز والصعود والهبوط، وقيادة السيارات، وغير ذلك من الأداءات الحركية المتعددة.

٣- الدوافع التي تُحرك السلوك، سواء كانت دوافع فطرية (أولية) أو مكتسبة (ثانوية) وتؤثر في الجانب الانفعالي في سلوك الإنسان.

٤- أوجه التفاعل بين الإنسان وبين بيئته الاجتماعية، بصفة عامة أي دراسة جميع أنشطة الإنسان وسلوكه، وما يصدر عنه من نتاج عقلي ومعرفي واتجاهات ومشاعر وميول ورغبات وسلوك حركي وحسي وأخلاقي وديني واجتماعي.

٥- ما يصدر عن الإنسان من نشاط عقلي يسيطر عليه الذكاء، بوصفه قدرة عقلية عامة بجانب العمليات والأنشطة العقلية والمهارات كالإدراك والتذكر والتخيل والتفكير والتعلم والابتكار، وتمايز القدرات والمهارات العقلية عند الإنسان، كالقدرة اللغوية والكتابية والحسابية، وغيرها.

٦- ما يشعر به الإنسان من انتماءات وعواطف وانفعالات كالغضب، والغيرة والخوف والضيق والحب والبغضاء، وما يترتب على ذلك من الصحة النفسية أو عدم توافرها.

٧- دراسة اتجاهات الأفراد نحو المجتمع (البيئة) وتأثير هذه الاتجاهات في إدراكهم وتفكيرهم، وسوية السلوك أو انحرافه والعوامل المسببة لذلك، والأمراض الأخرى.

تتضمن دراسة السلوك الإنساني الآتي:

- التعرف إلى الجانب النظري والعملي في دراسة السلوك.
- تحقيق قضايا علم النفس والمنهج الإسلامي.
- مجالات دراسة السلوك في علم النفس.

obeikandl.com

• **ميادين علم النفس:**

على الرغم من أن علم النفس علم حديث نسبيًّا، إلا أنه امتدت فروعه بدرجة كبيرة، حيث أصبح يشمل مجالات عدة في الحياة.

لذلك تعددت فروع علم النفس، وتشعبت أقسامه؛ بغية التحقق من فهم الظواهر النفسية في جميع الميادين التربوية والصناعية والاقتصادية والإرشاد والعلاج الطبي والنفسي والدعاية والحرب والسلم. وللدراسات النفسية قسمان رئيسان: القسم النظري والقسم التطبيقي، والقسم الأول يهدف إلى الفهم والتوصل إلى القوانين التي تحكم الظواهر، وينقسم إلى فروع عدة.

وينقسم القسم التطبيقي إلى فروع عدة أيضًا.

(أ) فروع القسم النظري Theoretical section:

فيما يأتي أهم فروع القسم النظري في الدراسات النفسية:

١- **علم النفس العام:** General Psychology

يهتم بدراسة الأنشطة العامة المصاحبة للعمليات النفسية العامة الفردية والجماعية، حيث يقوم بدراسة المبادئ والقوانين العامة لسلوك الإنسان السوي الراشد. ويُحدد الأسس النفسية العامة لسلوك الإنسان وفق ما يشترك بين جميع الأفراد. وموضوع علم النفس العام، هو الإنسان من حيث أنشطته العقلية والحركية والانفعالية والاجتماعية. لذلك، فهو يقوم بدراسة العوامل الوراثية والبيئية التي تكون شخصية الفرد، وتحدد السلوك.

obeikandi.com

وعلـم النفـس العام يقـوم بدراسـة دوافع السـلوك وأنواعهـا وتكوينهـا، والجانب الانفعالي في السلوك والجانب العقلي والاجتماعي.

لذلك يُعدّ علم النفس العام المصـدر الأساسـي أو ما يعرف بالمصـدر الأم لفروع علم النفس.

٢- **علم النفس الفارقي: (الفارق) أو سيكولوجية الفروق الفردية** Differential Psychology

يهتم بدراسـة الفـروق الفردية والجماعية، في السـمات النفسـية كالـذكاء أو في الشخصـية والاستعدادات والقدرات الخاصـة، ويهتم بتفسير أسباب وعوامل إيجاد هذه الفـروق، اسـتنادًا إلى حقائـق علم النفس العـام، ونفهم من ذلك أن علـم النفس العام يكشـف لنا عن أوجه الاتفاق بين البشر، بينما يوضح علم النفس الفارقي أوجه الخلاف والأسباب وراء الفروق الفردية والجماعية الإنسانية.

٣- **علـم النفـس الارتقائـي: (علـم نفـس النمـو أو سيكولوجيـة النمـو)** -Developmental Psychology

أو ما يُعرف بعلم نفس النمو، ويهتم بدراسـة مراحل النمو المختلفة ما قبل الميلاد وبعده، التي يمر بها الفرد في حياته، وخصائص كل مرحلة جسميًّا وانفعاليًّا، ومن فروع هذا العلم: علم نفس الطفل والجوانب النفسية للمراهقة وعلم نفس الشباب، وسيكولوجية الشيخوخة.

٤- **علم النفس الاجتماعي** Social Psychology

يتداخل هذا الفرع كثيرًا مع علم الاجتماع وعلم الإنسان الاجتماعي (الأنثروبولوچيا الاجتماعيـة)، ويهتـم هـذا العلم بالخصـائص النفسـية للجماعـات وأنمـاط التفاعل الاجتماعـي والتأثيـرات التبادلية بيـن الأفراد، مثـل العلاقة بين الآبـاء والأبناء، داخل الأسرة والتفاعل بين المتعلمين والمعلمين وبين العمال والأعمال. وقد كشف علم النفس

obeikandl.com

الاجتماعي عن كثير من الحقائق في مجال الاتجاهات والقيم والتعصب والحروب النفسية والعواطف والدعاية والإعلان... إلخ.

٥- **علم نفس غير العاديين** Abnormal Psychology

يهتم بدراسة السلوك السوي، أو إيضاح السلوك المنحرف، كالجريمة والانحرافات السلوكية الشاذة وتفسيرها وبيان أفضل الأساليب العلاجية.

٦- **علم النفس المقارن:** Compartive Psychology

تتم فيه دراسة مقارنة بين سلوك الإنسان وسلوك الحيوان، وسلوك الطفل والراشد والسلوك السوي والمنحرف... إلخ.

(ب) القسم التطبيقي: Applied Section

فيما يأتي أهم فروع القسم التطبيقي في الدراسات النفسية، التي تستفيد من المعلومات والحقائق التي يتوصل إليها علم النفس النظري، في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية. وأهم هذه الفروع:

١- **علم النفس التربوي:** (**علم النفس التعليمي**) Educational Psychology

حيث يُوجه هذا العلم المواقف التعليمية والتربوية، لتحقيق الأهداف التعليمية بأكبر قدر من الكفاءة، مستعينًا في ذلك بقوانين علم النفس وحقائقه. ويحاول هذا العلم حل مشكلات عملية، مثل علاج التخلف الدراسي وأحسن طرق التعليم... إلخ.

٢- **علم النفس الصناعي:** Industrial Psychology

تستخدم حقائق علم النفس، للاستفادة منها داخل الوحدات الصناعية بهدف رفع الكفاية الإنتاجية للعاملين، ورفع الروح المعنوية لديهم وتهيئة أحسن الظروف للإنتاج، سواء في مجال البيئة العادية أو في مجال الإدارة والحفاظ على الصحة النفسية للعاملين،

obeikandl.com

ويدرس علم النفس الصناعي موضوعات، كالهندسة البشرية والتعب الصناعي والتوجيه المهني والأمن الصناعي والصراع الصناعي... إلخ.

٣- **علم النفس الإداري:** Administrative Psychology

يُركز على الأصول النفسية للإدارة الناتجة، وطبيعة التعامل مع الأفراد داخل المؤسسات الإدارية، ويُسهم في دراسة حاجات المستهلكين والقوى المؤثرة فيها، كالإعلانات والدعاية، وكيفية الإعلان ومواصفات الإعلان الجيد... إلخ.

٤- **علم النفس الجنائي:** (**سيكولوچية الجريمة**) Criminal Psychology

يهتم بدراسة الأسباب النفسية للجريمة والمجرمين، حيث العوامل والنتائج وطرق العلاج، ورسم سياسة للدفاع الاجتماعي ضد الجناح والجريمة.. ويرتبط هذا العلم بعلم نفس الشواذ.

٥- **علم النفس الحربي:** (**علم النفس العسكري**) Military Psychology

يهتم بالحياة العسكرية، لتحديد السمات الشخصية للعدو، وما يحبه وما يكرهه، وعاداتهم وطبائعهم. ومن تطبيقاته الاهتمام بتوزيع الجنود على مختلف التخصصات الحربية، وفقًا لميولهم وقدراتهم، ويعمل على رفع الروح المعنوية للجنود وسبل وطرائق مقاومة الحرب النفسية... إلخ.

٦- **علم النفس العيادي (الإكلينيكي):** Clinical Psychology

يستخدم في جوانب العلاج النفسي، من حيث محاولة تشخيص الاضطرابات والأمراض الذهانية والعصابية، وحالات القلق، والاكتئاب، والمخاوف المرضية، والشعور بالذنب، والشعور المستمر بالنقص، وأمراض النطق.. ومحاولة علاج هذه الاضطرابات بتحديد مسبباتها واستخدام المقاييس المقننة للكشف عنها.

obeikandl.com

وهذه الفروع في كلا القسمين النظري والتطبيقي على سبيل المثال، وليست على سبيل الحصر، حيث إن ما ذُكر يمثل اليسير من الاهتمامات والدراسات النفسية.

تتضمن ميادين علم النفس:

(أ) فروع علم النفس النظري، وتشمل:

(١) علم النفس العام. (٢) علم النفس الفارقي.
(٣) علم النفس الارتقائي. (٤) علم النفس الاجتماعي.
(٥) علم نفس غير العاديين. (٦) علم النفس المقارن.

(أ) فروع علم النفس التطبيقي، وتشمل:

(١) علم النفس التربوي. (٢) علم النفس الصناعي.
(٣) علم النفس الإداري. (٤) علم النفس الجنائي.
(٥) علم النفس العسكري. (٦) علم النفس الإكلينيكي.

العلاقة بين الدراسات النفسية والعلوم الأخرى:

هل علم النفس علم مستقل بذاته؟ أم أنه يعتمد على علوم أخرى لتحديد وتفسير أكثر تكاملًا عند فهم السلوك الإنساني؟ الواقع، إن علم النفس يرتبط بالعلوم الطبيعية والبيولوجية والاجتماعية ارتباطًا وثيقًا، فالحياة النفسية للإنسان - تفكيره وإدراكه وخيالاته ودوافعه.. ترتبط ارتباطًا وثيقًا بطبيعة التكوين الجسمي والقوى الحيوية التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الإنسان، حيث صور سبحانه وتعالى الإنسان في أحسن تصوير: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤). والجوانب النفسية يوثر فيها أعقد الأجهزة الجسمية، وهو الجهاز العصبي (المخ والمخيخ والنخاع المستطيل والنخاع الشوكي)، وتؤثر الغدد الصماء، وهي التي تفرز الهرمونات على المستوى العقلي وعلى مختلف العمليات الحيوية في الجسم، وتؤثر الحواس في الإدراك وفي مراكز

obeikandl.com

الإدراك بالمخ... إلخ. ومن هنا تتضح الصلة الوثيقة بين علم النفس وعلوم الأحياء ووظائف الأعضاء. يضاف إلى هذا أن علم النفس يدرس جوانب التكيف بين الإنسان وبيئته الاجتماعية والطبيعية، حيث إن هناك الكثير من آثار البيئة الطبيعية على الإنسان من حرارة وبرودة ورطوبة وانخفاض عن سطح البحر... إلخ. ومن هنا تأتي الصلة بين علم النفس والعلوم الطبيعية.

وإن علم النفس يتصل بالعلوم الاجتماعية، فالإنسان يعيش داخل مجتمعات وجماعات، ويتأثر بشكل واضح بالبيئة الاجتماعية، حيث يكتسب منها لغته وعاداته وتقاليده، هذا إضافة إلى أن البيئة تدعم الميل الفطري لاكتساب العقيدة، أو تشوهها أو تعمل على البُعد عنها. وتمارس الثقافة أثرًا عميقًا في شخصية الإنسان وتفكيره وسلوكه، فهي ذات أثر واضح على المعلومات التي يكتسبها الإنسان ومهاراته وأذواقه وعواطفه.

وإن الظروف الاقتصادية لها دورها المهم على شخصية الإنسان.

ومن هنا تأتي الصلة بين علم النفس وجميع العلوم الاجتماعية، مثل الاجتماع والاقتصاد والجغرافيا البشرية والعلوم الحيوية.

من الناحية الشرعية يرتبط علم النفس ارتباطًا واضحًا بالعلوم الشرعية، فقد قدم لنا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة إعجازات عن بعض جوانب النفس الإنسانية، ومن هنا يستحق أن نقرر صلة العلوم النفسية بالعلوم الشرعية، وأن نتبين التفسير الإسلامي للسلوك البشري، وأن تزداد جهود علماء النفس المسلمين في التأصيل الإسلامي للعلوم الإنسانية.

نخرج من هذا بأن العلاقة بين الدراسات النفسية والعلوم الأخرى علاقة وثيقة، فالإنسان، وما يصدر عنه من سلوك، لا يُفسر بشكل موضعي إلا عند دراسة المسببات العضوية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية، وتعاون هذه المناحي جميعها مع العلوم البيلوچية والحيوية وغيرها، لتحديد العوامل العضوية التي تقف وراء

openkandil.com

السلوك، إضافة إلى ما تقدمه العلوم الاجتماعية والشرعية من معارف ومعلومات، تسهل التعرف إلى الجوانب الاجتماعية والدينية المؤثرة في السلوك البشري.

هذا السلوك في شتى مظاهره في مختلف مواقف الحياة، هو موضوع اهتمامات علم النفس، حيث يُعدّ علم النفس من العلوم السلوكية.

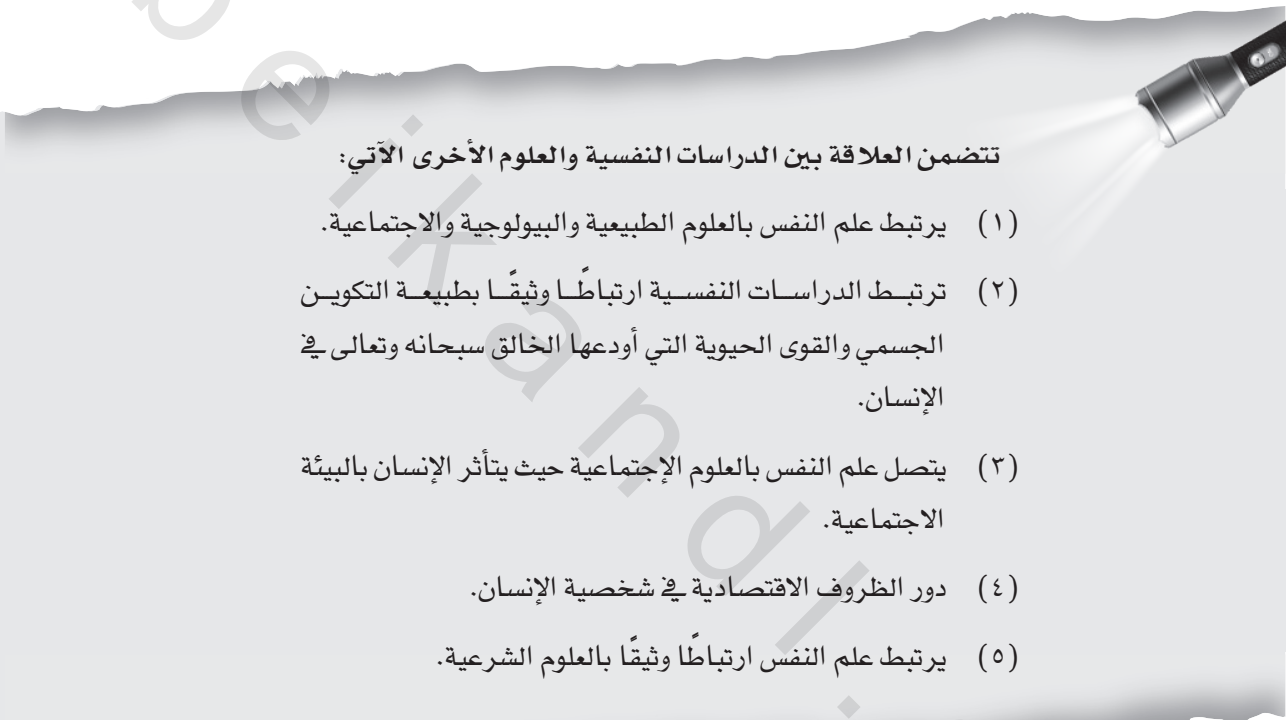

تتضمن العلاقة بين الدراسات النفسية والعلوم الأخرى الآتي:

(١) يرتبط علم النفس بالعلوم الطبيعية والبيولوجية والاجتماعية.

(٢) ترتبط الدراسات النفسية ارتباطًا وثيقًا بطبيعة التكوين الجسمي والقوى الحيوية التي أودعها الخالق سبحانه وتعالى في الإنسان.

(٣) يتصل علم النفس بالعلوم الإجتماعية حيث يتأثر الإنسان بالبيئة الاجتماعية.

(٤) دور الظروف الاقتصادية في شخصية الإنسان.

(٥) يرتبط علم النفس ارتباطًا وثيقًا بالعلوم الشرعية.

موضع علم النفس في العلوم السلوكية:

العلوم السلوكية.. هي إضافة معاصرة لمجموعة من العلوم تندرج تحت العلوم الإنسانية Humanities Or Humanistic Sciences

والعلوم السلوكية Behavioural Sciences هي العلوم التي تبحث عن المبادئ، والمفاهيم الإنسانية، التي تهدف إلى تفسير السلوك الإنساني، ووضع أسس التنبؤ والسيطرة عليه.

obeikandi.com

وقبل أن نحدد موضع العلوم السلوكية، علينا أن نوضح تقسيم فروع المعارف الإنسانية، التي تقسم إلى قسمين أساسيين:

١- العلوم الطبيعية: التي تقوم بدراسة الظواهر الطبيعية المادية وتحللها، لتصل إلى مفاهيم تفسر من خلالها الظواهر، وتحدد أسباب التغيرات والتطورات.

وتضم هذه المجموعة علوم الفيزياء والكيمياء والچيولوچيا والفسيولوچيا والبيولوچيا الخاصة بالإنسان، مثل علوم التشريح ووظائف الأعضاء.

٢- العلوم الاجتماعية (الإنسانية): التي تقوم بدراسة الظواهر الاجتماعية التي تنشأ بحكم حياة الإنسان في جماعات للتفاعل سعيًا وراء تحقيق أهداف فردية وجماعية.

وتضم هذه المجموعة علوم الأنثروبولوچيا (علم تطور الإنسان) والاقتصاد، والتاريخ، والعلوم السياسية، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والتربية، وتتداخل المجموعتان فيما بينهما لما تتصف به كل من الطبيعة المادية والإنسانية من تعقيد وتشابك. مثال ذلك علم النفس، وهو يتبع العلوم الاجتماعية يتداخل مع بعض العلوم الطبيعية، عندما يدرس تركيب الجهاز العصبي عند الإنسان ودوره في بعض ظواهر السلوك الإنساني، ومحدداته فيما يُعرف بالتركيب الفسيولوچي للإنسان، وإن دراسة مراحل نمو الإنسان من النواحي العضوية والعقلية تندرج تحت علم النفس التعليمي (التربوي).

والواقع إن مجال العلوم السلوكية يضم أربعة فروع من المعارف الإنسانية، هي:

١- علم النفس.　　٢- علم الاجتماع.

٣- علم الأنثروبولوچيا.　　٤- التربية.

وهذه العلوم تهتم بدراسة سلوك الإنسان الفرد والجماعة وتصرفاته في مختلف المواقف والظروف.

obeikandl.com

والسبب في تسمية السلوكي Behavioural على أي فرع من العلوم الاجتماعية، هو ما يجب أن يتوافر في العلم من شروط، هي:

١- أن يكون مجال الدراسة هو السلوك الإنساني، في أي مظهر من مظاهره، بمعنى أن يكون العلم يهتم اهتمامًا رئيسًا بتفسير مظاهر السلوك الإنساني، والتنبؤ بأوضاعه في المستقبل، أي أن يكون الهدف هو تفسير للأسباب والعوامل المحددة للسلوك الإنساني بشكل عام، أو لفئة من الأفراد، أو تحت ظروف بيئية واجتماعية معينة.

٢- الشرط الثاني هو أن تتم دراسة السلوك الإنساني باستخدام الأسلوب العلمي، حيث تتضح مظاهر السلوك الإنساني باستخدام الاتجاه العلمي في مختلف مجالات الحياة المختلفة.

مما تقدم نجد أن تعبير العلوم السلوكية Behavioural Sciences يتمثل في العلوم التي تهتم بدراسة السلوك Behaviour الإنساني، حيث يُستخدم لذلك، الأساليب والطرق العلمية التي تحدد سلوك الأفراد والجماعات.

تتضمن مجالات العلوم السلوكية الآتي:

(١) علم النفس. (٢) علم الاجتماع.

(٣) علم الأنثروبولوجيا. (٤) التربية.

شروط العلوم السلوكية:

(١) أن يدرس السلوك الإنساني.

(٢) أن تتم دراسة السلوك بأسلوب علمي.

obeikandi.com

مجالات البحث في علم النفس:

وفق ما سبق الإشارة إليه في الفصل الأول، من أن علم النفس، يتبع في تصنيفه العلوم السلوكية، التي تهدف إلى فهم حقيقة ومسببات السلوك الإنساني، فإن مجالات البحث وموضوعات الدراسة في علم النفس تتمثل في:

١- تحديد دور الوراثة والبيئة وآثارهما في السلوك الإنساني.
٢- التنشئة الاجتماعية، وخاصة في مرحلتي الطفولة والمراهقة.
٣- مراحل النمو الإنساني: المظاهر والمطالب والخصائص.
٤- مراحل النضج العقلي.
٥- التنظيم العقلي والعمليات العقلية العليا (الإدراك والفهم والتفكير... إلخ).
٦- الدوافع التي تحفز السلوك الإنساني.
٧- الانفعالات والعواطف.
٨- الفروق الفردية بين البشر وأهميتها بوصفها محددات للسلوك الإنساني.
٩- القدرات العامة وقياسها.
١٠- القدرات الخاصة وقياسها.
١١- الميول والاتجاهات وقياسها.
١٢- الشخصية ومكوناتها وقياسها.
١٣- التعلم.
١٤- تطبيقات علم النفس في المجالات التعليمية والمهنية والاجتماعية.
١٥- الأمراض النفسية.. العصابية والذهانية.
١٦- التوجيه والإرشاد التعليمي والمهني.
١٧- الصحة النفسية والاضطرابات السلوكية.

تتضمن مجالات البحث في علم النفس مجالات متعددة تهدف إلى فهم حقيقة ومسببات السلوك الإنساني.

obeikandi.com

تلخيص:

١- من الجوانب النظرية والعملية في دراسة السلوك: دراسة السلوك وتفسيره موضوعيًّا - والتنبؤ بالسلوك - والتحكم والتنبؤ بالسلوك.

٢- علم النفس المعاصر، يجمع بين العلوم التي تتحقق قضاياها عن الأصول والنصوص، وعن طريق الملاحظة للظواهر موضع الدراسة، وإجراء التجارب للوصول إلى الحقائق.

٣- في مجالات دراسة السلوك في علم النفس يتم دراسة: استعدادات وقدرات الإنسان - السلوك الحركي أو اللفظي - دوافع السلوك - التفاعل بين الفرد وبيئته الاجتماعية - النشاط العقلي للإنسان - العواطف والانفعالات - اتجاهات الفرد نحوها.

٤- تنقسم تفرعات علم النفس إلى: القسم النظري، ويشمل علم النفس العام - الفارقي - الارتقائي - الاجتماعي - الشواذ - المقارن.

والقسم التطبيقي، ويشمل: التربوي - الصناعي - الإداري - الجنائي - الحربي - العيادي (الإكلينيكي).

وهذه التفرعات للقسم النظري والتطبيقي على سبيل المثال، وليس على سبيل الحصر.

٥- العلاقة بين الدراسات النفسية والعلوم الأخرى: حيث تعتمد الدراسة في علم النفس على التكوين الجسمي، والحيوي، والجهاز العصبي، والغدد الصماء، والحواس، وعلم الأحياء ووظائف الأعضاء، والعلوم الاجتماعية، والثقافية، والظروف الاقتصادية، والعلوم الشرعية.

٦- تقسم العلوم والمعارف إلى طبيعية واجتماعية (إنسانية).

٧- يندرج علم النفس تحت المعارف الإنسانية.

٨- تتعدد مجالات البحث في علم النفس من أجل فهم حقيقة ومسببات السلوك الإنساني.

obeikandl.com

أسئلة وتمارين:

١- يُستخدم المنهج العلمي والتجريبي في الكشف عن قضايا السلوك الإنساني - اشرح.

٢- تختلف العلوم من حيث أساليب تحقيق قضاياها - اشرح.

٣- حدد ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية - وبين موضع كل من علم النفس العام وعلم النفس التربوي في هذه الميادين.

٤- علم النفس ليس من العلوم المستقلة بذاتها - اشرح.

٥- ما الشروط الواجب توافرها في تسمية فرع من فروع العلوم الاجتماعية، العلم السلوكي.

٦- حدد ما لا يقل عن عشرة من مجالات البحث في علم النفس.

obeikandl.com

الفصل الثالث

علم النفس التربوي
والأهمية للمعلم والمتعلم

- **الأهداف:**

(١) أن يتعرف المتعلم إلى أركان العملية التعليمية.

(٢) أن يستنتج العلاقة بين علم النفس والتربية.

(٣) أن يُقَيِّم أهمية علم النفس التربوي في العملية التعليمية.

(٤) أن يعدد الأهداف التربوية والتعليمية لعلم النفس التربوي.

(٥) أن يحدد المشكلات المرتبطة بالأهداف.

(٦) أن يدرك اهتمامات علم النفس التربوي.

(٧) أن يقدر جهود العلماء في النهوض بعلم النفس التربوي.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثالث

علم النفس التربوي
والأهمية للمعلم والمتعلم

تمهيد:

من حيث أمكن التعريف بعلم النفس وأهميته في حياتنا العامة واليومية، يعنينا بعد ذلك أن نعرف موضع علم النفس التربوي من حيث كونه يتبع القسم التطبيقي في العلوم النفسية، وأهمية علم النفس التربوي للمعلم والمتعلم، لذلك نعرض في الفصل الثالث التعريف بعلم النفس التربوي من جوانب متعددة.

لذلك، فإن من واجب المعلم، الاهتمام بالجوانب النفسية للمتعلم؛ حتى يتمكن من إعداده للحياة، حيث يُعدّ المعلم في العملية التربوية أساس الإصلاح التربوي، الذي يُخرج رجالًا وقادة للمجتمع.

وعلم النفس عامة، وعلم النفس التربوي خاصة، يمد المعلم بالجوانب النفسية للمتعلمين العاديين والمتفوقين والصغار والكبار، في كل مراحل التعليم، وتطبيقاتها في ميادين عدة في نماء الإنسان عامة، وفي تنمية وارتقاء المتعلم.

ويهمنا أن نذكر في هذا الصدد ما ساهم به قادة التربية من علماء المسلمين، أمثال ابن تيمية وابن قيم الجوزية والإمام الغزالي، حيث كانت لهم اهتماماتهم في التعريف بالسلوك البشري ومسبباته، والقدرة على التحكم فيه وتوجيهه وجهة سليمة. وإذا كان العائد من علم النفس التربوي بالنسبة إلى المعلم، له أهمية كبيرة في العملية التعليمية، فإننا نحتاج إلى أن نحدد هذه الأهمية من خلال أركان العملية التعليمية.

obeikandl.com

العملية التعليمية:

تتشكل أركان العملية التعليمية من المتعلم والمعلم والمادة الدراسية، وفي العملية التعليمية يواجه المعلم في أعم الظروف صعوبات تظهر من خلال ممارساته لعملية التعليم، أيًّا كانت عدد سنوات عمله التعليمي، أو نوع المادة الدراسية التي يقوم بتدريسها أو المرحلة التعليمية التي تعلم فيها أو بخبراته التربوية والتعليمية.

وتنطوي هذه الصعوبات على مشكلات يواجهها المعلمون، وتأخذ أشكالًا معينة من حيث الكم والكيف، وترتبط بطبيعة عملية التعليم والتعلم.

واكتساب المعلم الخبرات التربوية والتعليمية، يمكنه من القدرة على تحمل المسؤولية، ومواجهة المشكلات ومعالجتها، وقد لا يعني ذلك نجاح عملية التعليم على النحو المأمول.

فالتقدم التقني السريع والمستمر، وما قد يطرأ من متغيرات ومشكلات في المجتمع، أو ما يُطرح أمام المعلم، في حاجة مستمرة إلى فهم أفضل الأسس والمبادئ التي تقوم عليها عملية التعليم، حتى يتمكن من جعلها أكثر نجاحًا وفاعلية مع المتعلمين.

ومن حيث كانت أركان العملية التعليمية هي: المتعلم والمعلم والمادة الدراسية، فإن الجوانب النفسية المتعلقة بهذه الأركان الثلاث تقوم على:

١- ضرورة اهتمام المعلم، بمعرفة قدرات واستعدادات المتعلم.

٢- ضرورة قيام المعلم، بمعرفة أهداف تعلم المادة الدراسية، وإيضاح طبيعة المادة الدراسية؛ حتى يتمكن المتعلم من فهمها.

٣- كيفية قيام المعلم باستخدام الأسلوب المناسب في التعليم، واختيار طريقة التدريس المناسبة.

٤- أن يكون المعلم على دراية وفهم، بأصول قواعد علم النفس في مجاله التطبيقي، أي علم النفس التربوي.

obeikandl.com

أما عن العلاقات الموجودة في العملية التعليمية فإنها تتمثل في:

١- علاقة المعلم بالمتعلم وفهمه لقدراته واستعداداته.

٢- علاقة المتعلم بالمحيط المدرسي والمجتمع الخارجي وفهمه لهما.

٣- علاقة المتعلم بالمادة الدراسية.

ومن هذا يتبين أهمية علم النفس عامة، في معاونة المعلم في العملية التعليمية، وأهمية علم النفس التربوي خاصة، في معاونة المعلم في توجيه سلوك المتعلم التوجيه السليم.

نخلص من ذلك بأن علم النفس التربوي يساعد المعلم على:

١- فهم ومعرفة مراحل النمو للمتعلمين الذين يقوم بالتدريس لهم، حيث يمكنه تمييز التغيرات الجسمية والنفسية لمراحل النمو، وفي هذا يُساعد المعلم على أداء وظيفته التربوية.

٢- فهم ومعرفة قدرات المتعلمين وانفعالاتهم، وفي هذا ما يُساعد المعلم على فهم شخصية المتعلمين، وتحديد جوانب القوة والضعف لديهم.

٣- معاونة المعلم في اختيار أسلوب التدريس المناسب الذي يتفق، ومعالجة مشكلات التعليم في المرحلة التي يتولى التدريس فيها.

٤- تُكسب المعلم الخبرة في قياس القدرات والتحصيل الدراسي بوسائل علمية، بدلًا من الاعتماد على الملاحظات التي قد لا تؤدي إلى نتائج سليمة.

٥- تعاون المعلم في زيادة التوافق بين المتعلمين بما يؤدي إلى تحقيق عائد أكبر في العملية التعليمية.

٦- تمكن المعلم من استخدام الوسائل العلمية، في التدريس بهدف الوصول إلى نتائج إيجابية في التعليم.

obeikandl.com

لذلك يُعدّ علم النفس التربوي – من الناحية التطبيقية – من العلوم الأساسية التي يجب أن يتزود بمعارفها ومبادئها المعلم.

وقبل إيضاح أهمية علم النفس التربوي بالنسبة إلى المعلم والمتعلم، علينا أن نوضح الأساس النفسي للتربية، أو ما يُعرف بالعلاقة بين علم النفس والتربية.

العلاقة بين علم النفس والتربية:

قد نتساءل: هل هناك غايات ووظائف منفصلة لكل من علم النفس والتربية؟ أم أن كليهما متمم ومكمل للآخر؟ الواقع أن ميدان التربية يُعدّ المجال التطبيقي لمفاهيم علم النفس ونظرياته المختلفة، فعلم النفس، هو الوسيلة أو المصدر الذي يُزود التربية بالحقائق والمبادئ والأسس النفسية الخاصة بالمتعلم، واختيار الأسلوب المناسب في عمليات التعليم بالنسبة إلى مختلف الأفراد من المتعلمين. كذلك من الأهمية بمكان التحديد الخاص بالأساس النفسي للتربية، حيث إن علم النفس يقوم بدراسة السلوك بهدف فهمه وتفسيره والتحكم فيه والتنبؤ به، وكذلك تقويم السلوك وتعديله، ومما لا شك فيه أن كل هذه العمليات لا تتم بمعزل عن التربية، فالتربية تهتم بالعقيدة والقيم الدينية، وتهتم بالأهداف والضوابط الاجتماعية، ولهذا من وظيفة التربية تقويم السلوك أو تعديله، وفق ما سبق الإشارة إليه.

والتربية وعلم النفس متلازمان، فعلم النفس يُقدم الدراسات الخاصة بالجوانب الفردية النفسية، والتربية تقوم على التطبيق العملي لهذه الدراسات، من أجل إعداد الفرد الصالح للمجتمع عامة، وفي المجتمع الإسلامي خاصة، عندما يكون إعداد الفرد على أساس التمسك والالتزام بالعقيدة الصحيحة. وإن الاختبارات العقلية الخاصة بالفروق الفردية بين الأفراد المستخدمة في علم النفس، هي أساسًا نشأت عن طريق التطبيق العملي للتربية.

obeikandl.com

والدراسات النفسية الخاصة بشخصية الفرد، ودراسة العقل البشري، وأنماط السلوك البشري الناجمة من المواقف مختلفة للفرد في بيئته، ساعدت عن طريق التربية على العناية بالفرد من الناحية النفسية والوجدانية.

لذلك نجد أن علم النفس التربوي عبارة عن التطبيق الخاص بالحقائق التي يكتشفها علم النفس والخاصة بالتفاعل الناجم بين الفرد وبيئته المادية والاجتماعية.

أهمية علم النفس التربوي في العملية التعليمية:

علم النفس التربوي من المواد الأساسية اللازمة في الدراسات النفسية لتدريب المعلمين وتأهيلهم، حيث يزُودهم بالأسس والمبادئ التي تتناول طبيعة التعليم المدرسي، ليُصبحوا أكثر فهمًا وإدراكًا لطبيعة عملهم، وأكثر مرونة في مواجهة المشكلات الناجمة عن هذا العمل.

وعلم النفس التربوي له فاعليات وإيجابيات في مجال تدريب المعلمين وتأهيلهم على النحو الذي يمكنهم من مواجهة الصعوبات والمشكلات في العملية التعليمية، وكلما كانت تلك الطرق التي يستخدمها المعلم في عملية التعليم أكثر ارتباطًا بطبيعة عملية التعليم المدرسي، وبالعوامل المعرفية والانفعالية والاجتماعية التي تؤثر فيها، كانت أكثر صدقًا وفعالية، وإيجابية مع المتعلمين.

وقد يعتمد المعلم على استخدام الوسائل التربوية التقليدية، أو يلجأ إلى تقليد معلميه القدامى وزملائه ذوي الخبرة، أو قد يقوم بعمليات المحاولة والخطأ للوقوف على المبادئ التي تحكم عملية التعليم المدرسي، وكل هذا نتيجة غياب المبادئ النفسية الصحيحة للتعليم المدرسي، التي تُعد أساسية لتزويد المعلم بها قبل إعداده لتحمل تبعات مهنة التدريس والتعليم، أو في أثناء قيامه بالخدمة.

obeikandi.com

الأهداف التربوية والتعليمية لعلم النفس التربوي:

من أهداف علم النفس التربوي من الناحية التربوية والتعليمية تحقيق الأسس الآتية:

١- بناء المعارف الخاصة بالتعلم، وتنظيمها في صورة منهجية، تتمثل في نظريات ومبادئ، ومعلومات ذات صلة بالتعليم والتعلم.

٢- صياغة هذه المعارف في أشكال تمكن المعلمين والتربويين من استخدامها وتطبيقها.

والهدف الأول من حيث كونه نظريًّا إلا أنه في أن علم النفس التربوي علم سلوكي، يتناول دراسة سلوك المتعلم في المواقف التعليمية المختلفة، حيث يبحث في:

(أ) طبيعة التعلم ونتائجه وقياسه.

(ب) خصائص المتعلم النفسية - الحركية والانفعالية والعقلية ذات العلاقة بالعملية التعليمية.

(جـ) بحث الشروط التعليمية والبيئية التي تؤثر في فعالية هذه العملية.

والهدف الثاني لعلم النفس التربوي، له خصائصه التطبيقية القائمة على توليد المعارف ووضع النظريات والمبادئ ذات العلاقة بالتعلم والمتعلم، من أجل ضمان ناتج عملية التعليم، من حيث الضرورة من تنظيم المعارف والنظريات والمبادئ في أشكال، تمكن المعلمين من استخدامها واختيارها وبيان مدى صدقها وفعاليتها وأثرها في هذه العملية.

ومن خلال هذين الهدفين لعلم النفس التربوي يتبين أنه ليس علمًا نظريًّا بحتًا كعلم النفس العام، ولا هو تطبيق محض، كفن التدريس، بل يحتل مركزًا وسطًا، وليس ذلك معناه أنه لا يستفيد من فروع علم النفس الأخرى: علم نفس النمو، وعلم النفس التجريبي، وعلم النفس الاجتماعي، وعلم النفس الإكلينيكي (العلاجي) وكلها علوم مساعدة لعلم النفس التربوي، بل تُعدّ أساسًا في المنهج النظري والتطبيقي لعلم النفس التربوي.

obeikandl.com

المشكلات التعليمية:

يقوم علم النفس التربوي بتزويد المعلمين بالمعارف والأسس والمبادئ التي تساعدهم على أداء مهامهم التعليمية بشكل أفضل، وتمكنهم من مواجهة المشكلات التعليمية والإعاقات والصعوبات الخاصة بالتعليم.

وفي العادة، يواجه المعلم عددًا من المشكلات والصعوبات التي تؤثر في أدائه المهني على نحو معين، بيد أن اهتمام علماء النفس التربويين، يتجه في معظم الأحيان نحو المشكلات التي تربط بطبيعة العملية التعليمية، وما يتصل منها بالتعلم، وتنحصر هذه المشكلات في:

١- المشكلات المتعلقة بالأهداف:

حيث يبدأ المعلم نشاطه التعليمي بالوقوف على الأهداف، التي يتوقع من المتعلمين إنجازها، لذلك تُعد المشكلات المتعلقة بالأهداف من حيث اختيارها وصياغتها وطرق تزويد المتعلمين بها من أولى المشكلات التعليمية.

٢- المشكلات المتعلقة بخصائص المتعلمين:

هناك الفروق والتباين بين المتعلمين، من حيث السمات الجسمية والانفعالية والعقلية والاجتماعية، وعلى المعلم مواجهة التباين والفروق بين المتعلمين؛ لنتعرف إلى قدراتهم في تباينها ومستوى نموهم، ونقاط الضعف والقوة في شخصياتهم ولتحديد مدى استعدادهم وقدراتهم على إنجاز الأهداف التعليمية، التي تتحدد قبل بدء العملية التعليمية.

٣- المشكلات المتعلقة بالتعلم:

يحتاج المعلم عند قيامه بوظائفه التعليمية، إلى معرفة المبادئ الخاصة باكتساب المعلومات لدى المتعلمين لتحديد الكيفية التي يؤثر فيهم من خلالها.

obeikandl.com

وحيث إن أنواع السلوك التي يمارسها المتعلمون كثيرة ومتنوعة، وتحكمها مبادئ تعليمية مختلفة، فإن المعلم يواجه مشكلة اختيار مبادئ التعلم التي تتفق مع طبيعة المواقف التعليمية، إضافة إلى تحديد شروط النشاط التعليمي الذي يقوم به.

٤- المشكلات المتعلقة بالتعليم (التدريس):

يلجأ المعلمون عادة إلى استخدام طريقة أو أكثر من طرق التدريس، حيث تختلف هذه الطرق باختلاف المواد المدرسية والمتعلمين والشروط الأخرى. ويعد اتخاذ القرار فيما يتعلق باختيار الطرق والوسائل الأكثر فاعلية من المشكلات التي تواجه العملية التعليمية.

٥- المشكلات المتعلقة بالتقويم:

النشاط التعليمي الذي يقوم به المعلم في نهاية العملية التعليمية هو التقويم، والتقويم يمكن المعلم من التعرف إلى مدى التقدم في مجال تحقيق الأهداف التعليمية، حيث يُواجه المعلم في هذه المرحلة من مهنته التعليمية مشكلة اختيار أو تطوير الإجراءات التي تساعده على معرفة هذا التقدم والوقوف على مدى تقدم عملية التعليم، ومدى تعلم المتعلمين.

اهتمامات علم النفس التربوي:

من أهم اهتمامات علم النفس التربوي الدراسات المتعلقة:

١- النمو الجسمي والانفعالي والمعرفي والاجتماعي والخلقي.

٢- التعلم ونظرياته (تفسيراته) وطرق قياسه والعوامل المؤثرة فيه وكيفية اكتساب المعلومات والمعارف والاحتفاظ بها لمدى زمني طويل.

٣- انتقال أثر التعلم والاستعدادات وطرق التدريس وتنظيم المواقف التعليمية والقدرة على حل المشكلات نتيجة التحسين في التعليم.

obeikandi.com

٤- اكتشاف طرق تنظيم الموارد التعليمية وكيفية توجيه المعلم واستشارته نحو أهداف معينة.

٥- الذكاء والقدرات العقلية وسمات الشخصية وقياسها.

٦- التحصيل وأسس التقويم القائم على الاختبارات التحصيلية وشروط الاختبارات النفسية والتربوية.

٧- التفاعل الاجتماعي بين المتعلمين في علاقاتهم بأنفسهم وعلاقاتهم بالمتعلمين والمعلمين.

٨- الصحة النفسية للفرد والتكيف الاجتماعي والمدرسي.

وهذه الاهتمامات تؤكد ما سبق إيضاحه من كل من أهمية علم النفس التربوي، وما يؤدي العلم من فاعليات في العملية التعليمية.

علم النفس التربوي، وأهميته للمعلم والمتعلم:

(١) أركان العملية التعليمية (المعلم، المتعلم، المادة الدراسية).

(٢) العلاقة بين علم النفس والتربية.

(٣) أهمية بين علم النفس والتربية.

(٤) الأهداف التربوية والتعليمية لعلم النفس التربوي.

(٥) المشكلات التعليمية.

(٦) اهتمامات علم النفس التربوي.

obeikandl.com

تلخيص:

١- علم النفس عامة وعلم النفس التربوي خاصة يمدّ المعلم بالجوانب النفسية للمتعلمين العاديين والمتفوقين والصغار والكبار في كل مراحل التعليم.

٢- تشكل أركان العملية التعليمية من المتعلم والمعلم والمادة الدراسية.

٣- هناك الجوانب النفسية الخاصة بأركان العملية التعليمية.

٤- علم النفس التربوي من الناحية التطبيقية يجب أن يُزود المعلم بمعارفه ومبادئه.

٥- العلاقة بين علم النفس والتربية هو أن علم النفس المصدر أو الوسيلة الذي يزود التربية بالحقائق والمبادئ والأسس النفسية، والخاصة بالمتعلم والأسلوب المناسب لتعليمه.

٦- علم النفس التربوي، له أهدافه التربوية والتعليمية، وهو تطبيقي ويعتمد على معارف من علوم نفسية أخرى.

٧- المشكلات التعليمية تنحصر في مشكلات خاصة: بالأهداف التعليمية -خصائص المتعلمين - التعلم - التعليم (التدريس) - التقويم.

٨- هناك اهتمامات تتصل بعلم النفس التربوي تؤكد ما يؤديه هذا العلم من فاعليات في العملية التعليمية.

أسئلة وتمارين:

١- حدد الجوانب النفسية المتعلقة بأركان العملية التعليمية.

٢- وضح العلاقات الموجودة في العملية التعليمية.

٣- علم النفس التربوي يُعاون المعلم في مجالات تعليمية مختلفة. اشرح.

obeikandl.com

٤- وضح العلاقة بين علم النفس والتربية.

٥- حدد الأهداف التربوية والتعليمية لعلم النفس التربوي.

٦- وضح المشكلات التي ترتبط بطبيعة العملية التعليمية.

٧- وضح اهتمامات علم النفس التربوي.

٨- علم النفس التربوي يُمثل التطبيق الخاص بالحقائق التي يكتشفها علم النفس. اشرح.

٩- علم النفس التربوي له أهداف تربوية وتعليمية. اشرح.

١٠- عدِّد المشكلات التعليمية التي يهتم بدراستها علماء النفس التربويون.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع

الهدي الإسلامي والسلوك الإنساني

- **الأهداف:**

(١) أن يعرف المتعلم موضع دراسة السلوك الإنساني في التراث الإسلامي.

(٢) أن يذكر مكونات النفس البشرية في الذكر الحكيم.

(٣) أن يعدد الدلالات اللفظية لمكونات النفس الإنسانية في الذكر الحكيم.

(٤) أن يحلل مفاهيم المكونات النفسية الإنسانية في القرآن الكريم.

(٥) أن يقدر عظمة القرآن الكريم في تعديل السلوك الإنساني.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع

الهدي الإسلامي والسلوك الإنساني

تمهيد:

بغية التعمق في معرفة السلوك الإنساني، نحتاج إلى معرفة وفهم النفس الإنسانية من خلال ما ورد في كتاب الله العزيز الذي هو دستور الحياة ومنهاج الطريق، وما ورد في السنة النبوية المطهرة من أقوال وأفعال سيد الخلق أجمعين الذي من اتبع خطاه وسلك منهجه وعمل على طاعته، فقد أطاع الله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠). لذلك نحتاج إلى إيضاح جوانب ومكونات النفس البشرية في ضوء الهدي الإسلامي.

التراث الإسلامي والسلوك الإنساني:

منذ أمد بعيد اهتم الدارسون والمهتمون بالدراسات الإسلامية عامة، والتربوية خاصة، بالنفس البشرية في بنائها وتقويمها وفي مناحيها وأصولها وسوية سلوكها واضطرابها. والغاية من وراء هذا القصد والاهتمام، إيضاح وسائل تهذيب النفس، وتعديل السلوك غير السوي وكبح الرغبات الشاذة، من أجل مجتمع إسلامي، يتوافق فيه سلوك الفرد مع شريعة الله السمحة، بما أمر الله به في كتابه العزيز، وما أرشدنا به نبي الهداية وخاتم الأنبياء ﷺ من سُنة مباركة متكاملة. والهدف التربوي من وراء ذلك هو إعداد أجيال في أمة الإسلام يتسم سلوك أفرادها، بالالتزام والضبط الديني والضبط الاجتماعي، والمستوى الأخلاقي الفاضل، الذي من خلاله يمكنهم من معايشة غيرهم، ممن هم في مصاف الملتزمين أخلاقيًّا، والموفقين في حياتهم الاجتماعية. وفي هذا ما يُحقق للفرد المسلم جادة الصواب والاستقامة والهداية والاعتصام بحبل الله المتين، واتباع سُبل الهداية والابتعاد عن سبل الغواية، فلا يتبع الفرد أهواء نفسه، ولا يستجيب

إلى الضـلال والفسـاد، بل يتحكم في أهوائه، ويسترشد بما أمر به الله تعالى وبسنة نبيه المطهرة.

وعالمنا المعاصـر.. وقد بعدت فيه الثقة بيـن الفرد وأقرانه من جانب، وبينه وبين التمسـك بعقيدته والالتـزام في حياته، وأصـبح الطريق فيه المنعرجات والسـدود التي تحفز إلى البعد عن جادة الصـواب.. فوسـائل الدعايات والإعلانـات والمواد الإعلامية التـي تطرح (بوجـه عام)، واتجاهات المناهج التعليمية في بعض المعاهد التعليمية قد يكون فيها الرخيص والخبيث الذي تهواه النفس التي قد تضـل عن سواء السبيل، بل لقد قلت اللافتات الخضـراء، التي تبين طريق الهداية والصـواب والحق لأبناء هذا العصر، وبهذا أصـبح أبناء المسـلمين في حاجة ماسـة إلى من يدعو بإخلاص وبجهد مسـتمر، لتنقيـة النفوس وإيضـاح جادة الصـواب ما قد يعلـق بالعقول، وما يتنافـى مع عقيدتنا السـمحة والسـنة النبوية المباركة، ويهدينا جميعًا إلى ما فيه خير وصـلاح نفوسـنا. بل إن الواقع يشـير إلى أنه قد زادت الحاجة إلى إيضـاح لجميع الناس وخاصـتهم، لمعرفة ذواتهم وطاقاتهم، حتى يعم الأمن والأمان نفوس الناس جميعًا.

إن عالمنا المعاصر أصبحت مسارات الحياة فيه صعبة، ولا هداية فيها، إلا للأمين القوي على نفسه، المُدرك لعيوب ذاته، الذي يعمل على التخلص من مساوئ نفسه وشرور أهوائه. وليس لذلك السـبيل إلا من تضافر جهود الأسـرة والمدرسة والمجتمع، في بناء وتنمية أفراد المجتمع، من أجل حياة آمنة مطمئنة.

هـذا الفرد هو.. الإنسـان الـذي يمثل محـور الاهتمام في الدراسـات الإنسـانية، وهو محط فكر قديم، حيث كان الاهتمام قبل ظهور الإسـلام من الحضـارات السـابقة للإسـلام، في عهود الرومان والإغريق، وحيث اهتم الفلاسفة آنذاك بدراسات عدة عن أنماط البشر وسلوكهم، ويعقب ذلك دراسات واهتمامات علماء الإسلام، نذكر منهم من السلف الصالح ابن تيمية، وابن القيم وغيرهما.

obeikandl.com

والواقع أن الإنسان في عالمنا المعاصر له موضع اهتمام عميق في الدراسات الشرعية والتربوية والنفسية والاجتماعية وغيرها في علوم العصر. وما أحوجنا إلى المزيد من هذا الاهتمام حتى لا نضل السبيل. ومن ثم قد يكون من الأهمية بمكان تحديد معنى النفس الإنسانية في الإسلام.

التأصيل الإسلامي لمباحث علم النفس:

حري بنا قبل أن نوضح مكونات النفس الإنسانية في الهدي الإسلامي، أن نؤكد وفق ما سبق الإشارة إليه من قبل أن علم النفس يدرس السلوك عند الإنسان من جميع الجوانب والوجوه؛ كي يمكن توجيه الإنسان وإرشاده إلى حُسن التكيف والتوافق في الحياة الاجتماعية، وبلوغ الغايات بسلوك الفاعلية والإنتاجية، وتكوين الاتجاهات البناءة نحو الذات، ونحو الآخرين، وتنمية وغرس القيم الدينية والأخلاقية.

والمعرفة بالسلوك البشري - التي هي الاهتمام المتكامل لعلم النفس - تُعد ضرورية لكل البشر، حتى يدركوا ويفهموا دوافع سلوكهم ومعاملاتهم وتفاعلهم في حياتهم اليومية والاجتماعية، حيث إن الإنسان يعيش في سلسلة متصلة من التفاعل الذاتي والاجتماعي في مواقف حياته اليومية، والهدي الإسلامي من خلال ما ورد في كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وما ورد في السنة النبوية المطهرة، التي تعمل على توجيه الناس كافة إلى جادة العمل في الحياة الدنيا والسعي في مناكب الأرض، دون إفساد أو خلل أو انحراف في السلوك واقتضاء الصراط المستقيم، ومن شأن هذا سوية السلوك.

وعلم النفس، إذ يهتم بدراسة سلوك الإنسان، وتحليل هذا السلوك، ووصفه وإبراز العلاقة بينه وبين دوافعه ومثيراته، مع محاولة التنبؤ بما يكون عليه السلوك في المستقبل، وفق ما يؤثر فيه من مؤثرات، بهدف توجيهه وإرشاده إلى سوية السلوك، والتزامه، وضبطه والتحكم فيه، مع الأخذ في الحسبان العوامل المؤثرة في السلوك، سواء أكانت داخلية أم خارجية.

فإن في هذا ما يُعد أسمى غايات علم النفس، الوصول إلى القواعد السلوكية للحياة المثلى للإنسان، التي تتوافق والعقيدة السمحة في الأوامر والنواهي.

وقد تكون المحاولات، التي بذلت في ذلك في علم النفس المعاصر ليست بالصورة التي يُرجى من ورائها خير البشرية، إذ تميل بعض الدراسات النفسية المعاصرة إلى عرض أفكار ومدارس علمية قد تتنافى، وما أشير إليه سلفًا، إضافة إلى أن علم النفس المعاصر قد يهمل بعض الجوانب الأساسية في السلوك الإنساني - لقصوره على المباحث الخاصة بها - مثل الجانب الأخلاقي والجانب الروحي في حياة البشر.

لذلك من الأهمية بمكان أن نوضح كيف نفهم مكونات النفس الإنسانية، في الهدي الإسلامي؛ حتى نتبين مسارات علم النفس المعاصر ومدى اقترابه من الهدي الإسلامي، خاصة أن علم النفس يُعد ضرورة من ضرورات الفهم الأمثل للسلوك الإنساني، وله إيجابيات كثيرة للغاية، في فهم السلوك الإنساني في سويته وفي اقتضائه الصراط المستقيم.

مكونات النفس البشرية في الذكر الحكيم:

في مكونات النفس في الذكر الحكيم، وفي الآيات البينات التي وردت في كتاب الله العزيز ما يدل على النظرة الشمولية المتكاملة للنفس البشرية، وقد يختلط على القارئ دلالات الألفاظ الخاصة بالنفس والروح والقلب والعقل، وذلك نحتاج معه إلى إيضاح هذه المكونات، كما وردت في القرآن الكريم.

وفي تفسير مكونات الطبيعة الإنسانية، وردت في كتاب الله العزيز في أكثر من موضع آيات بينات توضح مكونات النفس الإنسانية، وهذه الإيضاحات لها دلالاتها في القرآن الكريم.

obeikandl.com

وعندما نظر علماء المسلمين إلى «النفس» لم ينظروا إليها على أنها «كيان مستقبل أو جوهر قائم بذاته» وإنما كانت مباحثهم قائمة على أنها: «مجموعة الظواهر والحالات النفسية والخواطر التي في خبرة الإنسان». هذا، وقد تعرض الإنسان بالملاحظة والدراسة من قديم الزمن، بما كان يُعرف بالنفس الإنسانية.

وفيما يأتي، نعرض دلالات الألفاظ الخاصة بالنفس حسبما وردت في الذكر الحكيم، التي تشكل من:

١- النفس. ٢- القلب. ٣- الروح. ٤- العقل.

ونوضح مفاهيم هذه المكونات، لنتبين مدى اقتراب أو ابتعاد هذه المفاهيم، من التفاسير الخاصة بالمفاهيم المقابلة في علم النفس المعاصر.

دلالات الألفاظ الخاصة بالنفس الإنسانية في القرآن الكريم:

وردت الألفاظ الخاصة بالنفس الإنسانية في الذكر الحكيم التي سبق الإشارة إليها، بأسماء أو ضمائر أو أفعال، عدا لفظة «العقل» حيث وردت في صورة «فعل العقل».

وسنرتب إيضاح كل منها على أساس مدى شموله لمفهوم الإنسان بصورة عامة، أو تخصصه لجوانب معينة منه.

وعلى هذا الأساس يكون إيضاح «النفس» في البداية؛ لأنها أوسع استعمالًا من مختلف باقي الألفاظ، إذ غالبًا ما تدل على كيان الإنسان بصفته كائنًا حيًّا اصطفاه الله سبحانه وتعالى على سائر المخلوقات، ثم يرد لفظ «القلب» الذي يدل على العنصر الواعي والعاطفي في الإنسان.

أما «الروح» فهي في الذكر الحكيم تمثل حقيقة مجردة ذات أصل إلهي، وتتصل بالإنسان على نحو خاص، دون سائر المخلوقات.

obeikandl.com

أما العقل فقد سبق الإشارة إلى وروده بصورة «فعل العقل» وليس لفظة «العقل».

وفعل العقل في الذكر الحكيم يدل على الفهم والتفكير.

وفيما يأتي الدلالات اللفظية لمكونات النفس الإنسانية في الذكر الحكيم.

١- الدلالات اللفظية لمعنى (النفس):

وردت لفظة «النفس» على صور متعددة في صورة مفرد ومثنى وجمع، في كتاب الله العزيز، حيث تكرر ورودها في ٢٩٥ آية من آيات القرآن الكريم، وورد ذكرها في الصورة الآتية:

نَفْسُ - نَفْسًا - نَفسُك - نَفْسهُ - نَفْسَهَا - نَفْسي - النُّفوس - أنفُسكُم - الأنفُس - أنفُسنا - أنفُسهم - أنفُسهن.

وفيما يأتي دلالات لفظة «النفس» في القرآن الكريم:

وردت لفظة النفس في الذكر الحكيم بمعنى أن الإنسان.. كائن حي أصله واحد (سواسية الخلق).. يتأثر.. ويكسب.. ويشتهي.. ويغضب.. ثم يجازى عن عمله أخيرًا الجزاء الأوفى.

ووردت أحيانًا للدلالة على طوية الإنسان وجوهره.

ووردت أيضًا للدلالة على شيء معين.

ووردت بمعنى الذات الإلهية جل في علاه.

ففي الآيات الدالة على الذات الإلهية قوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ (آل عمران: ٣٠).

﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ (طه: ٤١).

ومن الأمثلة على استعمالها للدلالة على الإنسان قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة: ٤٨).

والنفس هنا بمعنى الذات الإنسانية كلها.

واستعملت كلمة النفس عند الدلالة على الإنسان، لتشير إلى أشخاص بالذات كالأنبياء، مثل قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (الكهف: ٦).

﴿ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِي ﴾ (يوسف: ٢٦).

ومن الأمثلة على استعمالها للإشارة إلى ضمير الإنسان وطويته، قوله تعالى: ﴿ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا ﴾ (الإسراء: ٢٥).

ويراد بها أحيانًا الدلالة على أصل واحد للبشرية، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾ (النساء: ١) .

ووردت للدلالة بوصفها أمرًا خاصًّا في الإنسان، قد يكون جوهرًا قائمًا بذاته، أو يكون مجرد تعبير مجازي عن حقيقة الإنسان وماهيته: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ (القيامة: ١ - ٢).

ووردت بمعنى الروح التي تدخل إلى جسم الإنسان، وهو جنين، وتخرج إلى بارئها عندما ينتهي الأجل كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴾ (الفجر: ٢٧ - ٢٨).

ووردت اللفظة بمعنى العقل والقلب والفؤاد، بما يتوافق مع مصطلح العرب عن النفس بمعنى العقل، حيث وصف العرب ذم العقل بالسفه الذي هو من الجهل، حيث

obeikandl.com

يكـون الجهل بخلاف الحلم، وهـو العقل كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ﴾ (البقرة: ١٣٠) .

ووردت اللفظـة بمعنـى العقل أو القلب، فالعلم ضـد الجهل الذي ينسـب إلى العقل والقلـب كقوله تعالـى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ (المائدة: ١١٦).

وفي معنى العقل والقلب أيضًا، ما ورد بمعنى الذكر الخفي والتضرع والخوف، وهما ينسبان إلى القلب كقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾(الأعراف: ٢٠٥).

هذا وقد وصفت «النفس» بأحوال مختلفة سنعرضها تحت ما يُعرف «بأحوال النفس» وهي: المطمئنة.. الوسواسة.. اللوامة.. الأمارة بالسوء... إلخ.

٢- الدلالات اللفظية لمعنى القلب:

وردت لفظـة «القلـب» في القـرآن الكريـم أقل من لفظـة النفس. ويظهـر أن أكثر معانـي القلب تدور حول المعنى العاطفي الوجداني والعقلي في الإنسـان، ولذلك تفسـر على أسـاس الفطرة السـليمة التي فطر الله تعالى الناس عليها، كما تفسـر على أسـاس العواطـف المختلفـة عند الإنسـان، سـواء منهـا ما يقوم على عنصـر الحب أو عنصـر البغضـاء والكراهيـة (العواطف الإيجابية أو السـلبية)، وفق ما يشـار إلى ذلك في علم النفس المعاصر عن تقسيم الجانب العاطفي والوجداني في بنية الشخصية.

ويُفسـر «القلب» أيضًـا على أنه محـل الهداية والإيمان والعلـوم والمعارف والإرادة والضبط.

ورود لفظ «القلب» في آيات الذكر الحكيم كما يأتي:

قَلـب – قلبكَ– قلبُـه – قلبها – قَلبي – قَلْبين – قُلُوب – قُلُوبكُما – قُلُوبكم – قُلُوبنا – قُلُوبهم – قُلُوبهنَّ.

ومما يشار إليه أن القلب موضع الفطرة السليمة في الذكر الحكيم قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء: ٨٩).

ومن دلالة اللفظ على أن القلب هو المقصود به الاعتبار والفهم والهداية قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (ق: ٣٧).

وليس القلب دائمًا محط الهداية والإيمان، فقد يرد بالمعنى الذي يدل على الإثم والمعصية، مثل قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (الحجر: ١٢).

أما دلالة لفظة القلب على أنه محل العواطف النبيلة الطيبة أو المضادة المخالفة، فمثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ (الحديد: ٢٧).

وقد يستعمل الفؤاد في القرآن الكريم بمعنى القلب، واستعماله قليل كما هو شأن العرب، في استعمال الفؤاد على أنه كُنية عن القلب، ومثل قوله تعالى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١٥١).

٣- الدلالة اللفظية لمعنى (الروح):

وردت لفظة «الروح» في القرآن الكريم في ٢٢ آية من آيات الذكر الحكيم، ومع أن القرآن الكريم لم يُكرر لفظة الروح إلا قليلًا، إلا أن استعماله كان أكثر تنوعًا، ويتضح ذلك من ألفاظ آيات الذكر الحكيم الآتية:

روحُ - روح - روحًا - روحنَا - روحُه - روحِي.

فقد وردت لفظة الروح بما يفيد إفاضة الحياة من الله على الإنسان، كما تتمثل في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ (الحجر: ٢٩).

والروح في الذكر الحكيم مضافة إلى الله الواحد القهار دائمًا. مثل قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء: ٨٥).

واستعملت الروح في القرآن أيضًا للدلالة على خلق المسيح عيسى عليه السلام، مثل قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ (مريم: ١٧).

واستعملت للدلالة على القرآن.. كتاب الله العزيز، مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ ﴾ (الشورى: ٥٢).

ووردت كلمة الروح للدلالة على الوحي والملك الذي ينزل به من قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ (غافر: ١٥).

هذا، وسنوضح فيما بعد، عندما نفسر مفهوم الروح، صلة الروح بالجسد، أي بالبناء الجسمي، معنى الروح في الطبيعة الإنسانية، وخاصة الجانب المعنوي في حياة الإنسان، سواء في وجوده الفردي أو في تفاعله الاجتماعي.

٤- الدلالات اللفظية لمعنى «العقل»:

وردت لفظة العقل في صورة فعل العقل في القرآن الكريم في ٤٩ آية من آيات الذكر الحكيم.

وأما عن صورة الألفاظ فهي كالآتي:

عَقلُوه - تَعقلُون - نعقل - يعقلُها - يعقلُون.

والعقل بوصفه مصدرًا لم يرد في القرآن الكريم إطلاقًا، وإنما ورد فعل العقل بمختلف اشتقاقاته. وكل الألفاظ الواردة تدل على عنصر التفكير عند الإنسان. أي إن القرآن لم يذكر العقل باسمه العلم أبدًا، وإن العرب أنفسهم لا يستعملون الاسم العلم العقل إلا في القليل النادر.

openkandil.com

مـن الآيـات التي تدل علـى فعل العقل فـي الذكر الحكيـم أنه عنصـر التفكير في الإنسـان قولـه تعالـى: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٧٥).

وقـد وصـف القرآن الكريم العقل بأوصـاف مختلفة منها: «اللـب» مثل قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (الرعد: ١٩).

«النُّهـى» مثـل قولـه تعالـى: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ (طه: ٥٤).

«الحلم» مثل قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ (الطور: ٣٢).

«الحجر» مثل قوله تعالى: ﴿هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾ (الفجر: ٥).

ومن الناحية اللفظية استعمل القلب مكان العقل، بأوصاف مختلفة، منها:

«التدبر» وهو التفكير الواعي والفهم، مثل قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ (محمد: ٢٤)

«الفقـه» بمعنـى الفهـم، مثـل قولـه تعالـى: ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة: ١٢٧).

مما سبق يمثل الدلالات اللفظية لمعاني مكونات النفس الإنسانية في القرآن الكريم، ونعرض فيما يأتي مفاهيم مكونات النفس الإنسـانية بحسـب ورودها في القرآن الكريم، وما يقابلها من تنظيم في البناء النفسي للإنسان في علم النفس المعاصر.

الدلالات اللفظية لمعنى:

(النفس - القلب - الروح - العقل)

في القرآن الكريم

obeikandi.com

مفاهيم المكونات النفسية الإنسانية في القرآن الكريم:

نورد فيما يأتي مفاهيم المكونات النفسية الإنسانية كما وردت في القرآن الكريم، ونعرض في ذات الوقت ما يقابلها من تفاسير وتأويل في علم النفس المعاصر.

١- مفهوم النفس:

تُعد النفس في القرآن الكريم، أوسع المكونات النفسية الإنسانية، وهي حسبما أشرنا من قبل تدل على الكيان الإنساني بوصفه كائنًا حيًّا، والنفس الإنسانية بوصفها كيانًا للإنسان الفرد تمثل الكل المركب من الجسد والروح، وهي التي تُطلق عليها في علم النفس «الذات» Self أو ما تعرف «بالأنا» Ego.

أي إن النفس الواردة في الذكر الحكيم القصد بها مكونات وسمات الجسد والروح، حيث إن سمات الجسم وخصائصه البنائية تشكل جانبًا من الجوانب التي تحدد سلوك الإنسان الفرد، بل تشكل أيضًا فعالية الإنسان ونشاطه وسلوكه.

وحيث إن الجسم والروح متلازمان، فعلينا أن نوضح سمات الروح في اتصالها بالجسم، والروح في العلوم النفسية قد يُقصد بها الروح المعنوية Moral وهي القوة المعنوية أو الحالة النفسية التي تدفع الفرد نحو الإقدام أو الإحجام Approach Or Avoidance. لتدفع فيه حب الحياة، وحب السعي في مناكب الحياة، والإقدام والمثابرة والتحمس، أو العكس بقصد إنجاز هدف أو أكثر من هدف ليصل الإنسان الفرد في النهاية إلى غاياته، وإلى حالة من حالات الرضا الذاتي Self- Satisfaction. ولكنها تختلف عن الروح في المفهوم الإسلامي، فالروح سر من أسرار الخالق البارئ أودعها مخلوقاته؛ لأنها أساس الحياة والوجود.

لذلك، فالنفس في القرآن الكريم تمثل مجموع سمات الجسد والروح، وتختلف كلية عن الجسد وعن الروح؛ لأن صفات الكل شيء وصفات الأجزاء المكون منه هذا الكل شيء آخر، فضلًا عن أن الكل بوصفه (وحدة) غير مجموع عناصره وأجزائه.

obeikandl.com

وهكذا نجد أن القرآن الكريم ينظر إلى النفس نظرة متكاملة، بينما يُقسم الجهاز النفسي في علم النفس عند بعض العلماء إلى:

(أ) اللاشعور: وهو الجزء الذي يشكل الدوافع والرغبات الجنسية، وهذا الجزء يشمل الهو ID وهو يمثل الجانب الغريزي الشهوي الموروث والاستجابات المكبوتة Repressed Responses الخاصة.. بالجنس والعدوان.

(ب) الشعور : وهو كل ما يمكن تذكره من أفكار وأحداث ووقائع، وهو يُمثل الذات المدركة Ego أو ما تعرف «الأنا» أي الجانب الواقعي في بناء الشخصية.

(جـ) الأنا العليا Super–Ego أو الضمير، الذي يبدأ ظهوره في أثناء مرحلة الطفولة، ثم يتتابع نموه في المراحل العمرية اللاحقة، وهو يُمثل الجانب المثالي، وهو مكتسب، بل إنه يمثل الرقيب الذي يوجه سلوك الإنسان.

وقد ورد وصف النفس في القرآن الكريم بما يأتي:

- النَّفْس الأَمَّارةُ بالسُّوء، النَّفْسُ المطمَئنَّة، النَّفْسُ اللَّوامَة.

هـذا ما نؤكده من أن القرآن الكريم في وصفه للنفس الإنسانية، يتسم بالنظرة الفاحصة الدقيقة التي تمتاز بالعمومية والشمولية.

ومن العمومية والشمولية ما نجده في القرآن الكريم من أن مركب الجسد والروح عند الإنسان، يُكسب حياته نشاطًا وحيوية، وهي التي تدفعه إلى عمارة الأرض عندما يسعى في مناكبها، ويقيم الوجود الإنساني، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

والروح لا تفارق الجسد طالما فيه حياة وحيوية، وعندما يحكم القضاء، وتنتهي حياة الجسد، فإن الروح تعود، وتصعد إلى بارئها.

والجسد هو البناء الذي يُجسد Enbody في الفرد، الجانب المادي المحسوس والملموس، حيث أبان القرآن الكريم لفظة «الجسد» أو الجسم، بما يدل على أن «الجسد» لا يتعادل في قيمته مع «النفس» أو «الروح». ويتوافق هذا بأن الجسد رماد بعد فناء، في حين أن الروح تخلد حتى يوم الحساب.

openkandil.com

ومن ناحية الاضطرابات والأمراض النفسية، تبين وجود تزاوج بين الجسم والنفس، حيث ثبت في الدراسات الكلينيكية (Clinical) العلاجية في علم النفس المعاصر، حيث إن الأمراض النفسجسمية (السيكوسوماتية) التي يترتب عليها أمراض عضوية جسمية مثل: قرحة المعدة، والذبحة الصدرية، وأمراض الحساسية، توضح أن المتاعب النفسية تؤثر بالضرورة في الحالة الصحية والنفسية للفرد، وفي هذا كله ما يؤكد مرة أخرى الصلة والرابطة بين الجسم والنفس.

٢- مفهوم الروح:

في المعاني التي سبق الحديث عنها في الدلالات اللفظية للروح في القرآن الكريم ما يدل على أن «الروح» لا تدل على التكوين الجسمي أي الجسدي وحده، ولا على «الجسد والروح» بمعنى الإنسان وفعاليته ونشاطه، كما هو الأمر بالنسبة إلى النفس، وفي هذا ما يدل على تميز الروح عن النفس في القرآن الكريم.

ليس هذا فحسب، بل إن الذكر الحكيم يدعو إلى الانتباه، بأن إدراكنا لطبيعة الروح قاصر، فهي من أمر الله.

ولكننا نستطيع أن نُدرك معنى ما يوحى به في الطبيعة الإنسانية من دلالات روحية، إذ إن المعنى الذي يُمثل جانبًا مهمًّا في حياة الإنسان، هو الجانب المعنوي Moral وخاصة الأخلاقي، الذي يجعل الإنسان وفق ما حباه الله من فطرة، أن يسمو بذاته ويضبط سلوكه، ويرتفع بقدر نفسه، ويعلو على الماديات الحسية المتمثلة في مساوئ الشهوات وما يُصاحبها من ماديات، ويتطلع إلى الجانب المضيء في بنية الشخص وهو الجانب الروحي، الذي أشارت إليه الآيات القرآنية الكريمة عندما أوضحت سواسية الخلق، وأنهم من نفس واحدة، وأن الإنسان الفرد له قيمته والجماعة الإنسانية لها كيانها ووجودها أيضًا، فالإسلام لا ينادي بالفردية، بل يدعو إلى التماسك والتعاون، وأن تكون المسافة الاجتماعية بين الأفراد في علاقاتهم متقاربة وليست متباعدة، ويُنادي بنبذ

العصـبية، في علاقاتهم لا فرق بين أبيض أو أسـود، ولا بين جماعة أو جماعة أخرى إلا بالتقوى.

وإنه وفق ما سـبق الإشارة إليه، فإن العلاقة بين الجسم والروح علاقة دائبة طالما أن الجسـم حي، إذ إن هناك أثر النواحي البيولوچية والفسـيولوچية في الجانب الروحي للإنسان، حيث الضعف والوهن والإرهاق والتراخي في جهد الإنسان وفي حالته المعنوية، ما يؤيد القول: إن أساس الذات الإنسانية هو الروح.

هذا، وقد سبق الإشارة إلى أن القرآن الكريم عالج الروح من حيث الدلالات اللفظية مـن جنبات متعددة، ومن أكثر من منظـور، وأكد القرآن أنها من عند الله تعالى، وبذلك فهـي أبدية حتى بعد زوال حياة الجسـد، وقد أقر بذلك بعض علماء الغرب، حيث نادى بعضهم بوجود الروح وأبديتها، أمثال: فيكتور هوجو، وكميل فلاماريون، وجوته.

فقد أشار «فلاماريون» في دراساته التي تواصلت نصف قرن من الزمان إلى أن:

الروح توجد في صـورة حقيقية منفصلة عن الجسد، وأن لها خصائص لم يكشفها العلم بعد، وأن الروح تستمر بعد الجسم المادي.

وهـؤلاء العلماء لا يدينون بدين الحق، ولكن الله تعالى أنطقهم بكلمة الحق. إذن ما هي آراء علماء المسلمين عن الروح؟

فيمـا يأتي آراء علماء المسـلمين عـن الروح، حيث نعرض آراء كل من «ابن حزم» «وابن القيم الجوزية».

١- آراء ابن حزم عن الروح:

يقول ابن حزم في كتابه «الفصل في الملل والنحل».

«والنفس والروح اسمان لمسمى واحد ومعناهما واحد» ثم قال: «وأما من ذهب إلى أن النفس ليسـت جسمًا فقول يبطل بالقرآن والسـنة والإجماع» والإمام «ابن حزم» يتفق في رأيه مع ابن قيم الجوزية في نظر كل منهما إلى الروح والنفس.

obeikandl.com

٢- آراء ابن قيم الجوزية عن الروح:

يرى «ابن القيم» أن «الروح» جسم نوراني متحرك من العالم العلوي مخالف بطبعه لهذا الجسم المحسوس (المادي)، سار فيه سريان الماء في الورد والدهن في الزيتون، لا يقبل التبديل والتفريق والتمزيق، يُفيد الجسم المحسوس الحياة وتوابعها ما دام صالحًا لقبول الفيض وعدم حدوث ما يمنع السريان، وإلا حدث الموت، وانتهت الحياة.

وهنا ينظر «ابن قيم الجوزية» إلى الروح نظرة شفافة كالنسيم، فهي موجودة، بل هي أصل وجود الكائن الحي بمعنى أنها المحرك للجسم المحسوس، وأن الروح ليست كتلة هلامية كالعهن المنفوش، وهذه النظرة نظرة مجردة بحتة بعيدة عن النظرة المادية التي يأخذ بها بعض الفلاسفة والمفكرين.

ويصف ابن القيم الروح بأنها النفس، حيث يقول: «سميت النفس روحًا لحصول الحياة بها- سُميت نفسًا، إما من الشيء النفيس ولشرفها، وإما من تنفس الشيء إذا خرج، ولكثرة خروجها ودخولها في البدن سميت نفسًا، ومنه النفس بالتحريك، فإن العبد كلما نام خرجت منه، فإذا استيقظ رجعت إليه، فإذا مات خرجت خروجًا كليًّا، فإذا دفن عادت إليه، فإذا سئل خرجت، وإذا بعث رجعت إليه».

هذا، ويربط ابن قيم الجوزية بين الروح وفكرة الفيض، حيث يذكر أن النفس البشرية إذا فاضت أي خرجت وفارقت الجسم، فإن الجسم يموت ويفنى، أي إن خروج الروح هو فراق الجسد.

والفيض عنده بمعنى الاندفاع وهلة واحدة (أي دفعة واحدة)، ومنه الإفاضة وهي الاندفاع بكثرة وبسرعة. ويتقارب تفسير ابن قيم الجوزية مع تفسير ابن حزم عن الروح.

٣- مفهوم القلب:

ما ورد في الذكر الحكيم عن مفهوم «القلب»، ما يدل على أن القلب له تفاسير متعددة في كتاب الله العزيز.

obeikandl.com

فقد ورد مفهوم القلب بمعنى العنصر الواعي والعاطفي عند الإنسان، وهو ما يتمثل في الضمير Conscious الذي يجعل الإنسان هادئ النفس مطمئنًا، أو فظ القلب يقسو على ذاته والآخرين، حيث يورد الإنسان موارد الهداية أو موارد الضلال والغواية.

فالقلب هو الذي يُحدث في سلوك الإنسان الضبط والربط والالتزام، وهو الذي يدفعه إلى القيام بالسلوك المضطرب المنحرف.

وقد يُفهم من القلب عند وروده في الذكر الحكيم، ما يدل على معنى النفس والعقل، خاصة أنه وردت آيات بينات كثيرة يُفاد من معناها ماأشير إليه. ويدل القلب على تقلب النفس وعدم الاستقرار Unstability (عدم الاتزان والاستمرار في السلوك المعتاد للإنسان)، وفي دعاء الرسول الكريم ﷺ: «**يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك**»[(١)].

ومفهوم القلب أيضًا في كتاب الله العزيز يتوافق مع خصائص كل من النفس الأمارة بالسوء والنفس المطمئنة.

فمفهوم القلب بمعنى النفس الأمارة بالسوء، ورد في وصف قلوب المجرمين الذين يتسم سلوكهم بعدم تقبل النصح، بل اشمأزت قلوبهم عند ذكر الله، إذ إنهم لا يؤمنون بالآخرة، حيث يتمادون في البغي والضلال والكبر والشر والجحود والعناد.

وإن القلب الذي يأمر بالنفس السوء، من سماته الطبع والختم والقفل والعمى.

وعلى العكس من ذلك وصف القلوب في الذكر الحكيم بمفهوم النفس المطمئنة:

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ (الرعد: ٢٨).

ومن مفاهيم القلب ما يدل أيضًا على أنه مركز العواطف والاتجاهات والمشاعر والأحاسيس، فمن أوصاف القلب:

ما يُلقى فيه من رعب - ما تبلغه القلوب من الحناجر - قسوة القلوب - حسرة القلوب - غيظ القلوب.

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٣٥٢٢) وحسنه، بينما صححه الألباني.

openkanoi.com

ويفهم من القلب في آيات الله البينات إلى العقل والتفقه والتعقل، هذا إضافة إلى الناحية الانفعالية عند الإنسان، حيث يُوصف القلب بشدة الانفعال، وما يصاحبه من اضطرابات عضوية، أو جمود الانفعال وتصلبه RIGIDNESS، حيث وصف القلب من شدة جمود انفعاله بالطبع والقفل والختم Sealed Or Closed.

٤- مفهوم العقل:

المتتبع لما ورد في الآيات القرآنية الدالة على العقل، يجد أن القرآن الكريم يُصنف العقل بوصفه قوة مُدركة في الإنسان، فهو من خلق الله سبحانه وتعالى، وهو منحة للإنسان دون سائر المخلوقات؛ ليمكنه من تحمل التبعات والمسؤوليات والتصرف في الأعمال.

والعقل هو الذي يوجه الضمير، والضمير هو الذي يحدث الالتزام عند الإنسان الفرد ليتبع الصراط المستقيم، والطريق السوي الذي لا اعوجاج فيه.

وعلى طرف آخر يُصبح موجهًا للانحراف والجنوح الذي يباعد بين الإنسان الفرد واتباع الصراط المستقيم، ويجعله من خلال سلوكه غير السوي (غير العاقل) يُصنف في مصاف المذنبين الخاطئين.

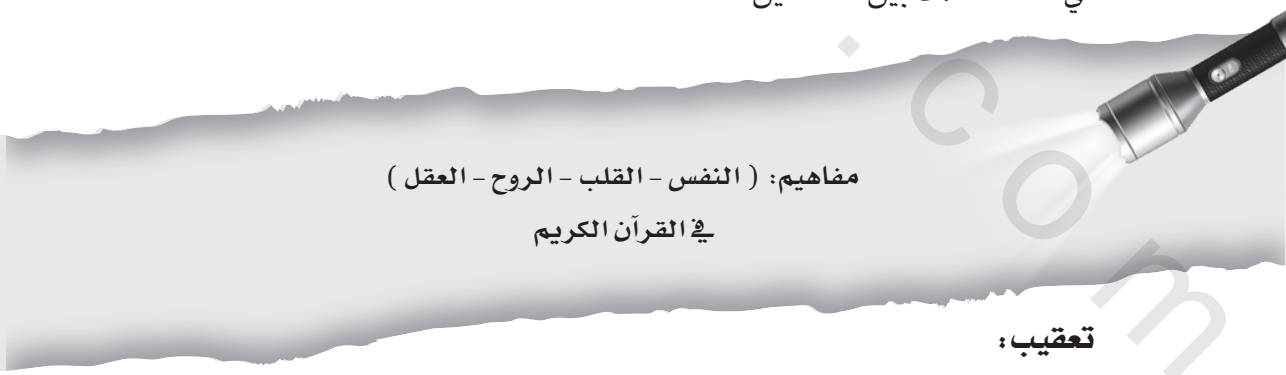

مفاهيم: (النفس - القلب - الروح - العقل)
في القرآن الكريم

تعقيب:

القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو قول الحق تبارك وتعالى الهادي إلى سواء السبيل، يحوي تفاصيل دقيقة وعدّة للأصول النفسية التي

obeikandi.com

يصـدر عنها سلوك الإنسان، حيث يجد القارئ البحث عن النفس.. أصلها.. مصيرها.. وأحوالهـا التـي تدفـع المرء إلى المعيشـة في هذه الحيـاة الدنيا، مثل الدافـع إلى طلب الطعام، والولد والمال والزينة، وإنه يحوي صـورًا شـتى من خلجـات النفس والانفعالات والعواطف، كالغضـب والغيرة والحسد والوساوس، هذا إضـافة إلى أنه دستور للأخلاق وتنظيم الحياة الاجتماعية، وضـبط العلاقات والسمو بالسلوك الإنساني، فهو كتاب الله الذي يهدي الناس إلى سواء السبيل.

وكتاب الله الذي نزل بالحق أوضح النظرة الشاملة المتكاملة للنفس الإنسانية التي تتشكل من النفس.. القلب.. الروح.. العقل.

وتفسـير علماء المسلمين للنفس الإنسانية قائم على أسـاس بيان أحوالها ونظمها ومصـيرها من حيث مكوناتها من الظواهر والحالات النفسـية والخواطر التي في خبرة الإنسان، أي إنه ينظر إلى الإنسان بوصفه كلًّا، فلا انفصال بين الجسد والروح، ولا بين القلب والعقل. وعلم النفس في وضـعه الحاضر، لا يدرس «النفس» كما يفهم من منطوق «علم النفس»، وإنما يهتم بالدرجة الأولى بالكيان الإنسـاني المتمثل في البناء الإنسـاني ككل، وبنائه الشخصـي المركب، الذي يقوم بأداء أنشـطة نفسـية معقدة، تتداخل فيها عمليات ووظائف ومؤثرات متعددة من شأنها تحديد خصائص السلوك الإنساني.. وعلم النفس في وضـعه الحاضـر، يهتم بالسـلوك الظاهر الذي يمكن ملاحظته، ويتمثل هذا الاهتمـام بالدرجة الأولى في التفاسـير المختلفة التي قامت بتنظير السـلوك الإنسـاني تحت ما يُعرف بمدارس علم النفس.

والإنسـان في المنظور الإسلامي كيان متكامل يجب ألا ينظر إليه من ناحية سلوكه الظاهر، ونلغي ما في باطنه من مشاعر وخواطر وخلجات، بحيث يمكن إذا صور «شعوره» فإنـه يحلل باطنه، ويميز بيـن دوافعه واتجاهاته وعواطفه. وإن فـي هذا ما يدل على أن الإنسان يحس بذاته وكيانه وحريته واختيار ما يتوافق معه.

obeikandi.com

والمكونات النفسية والإنسانية في القرآن الكريم تؤكد الترابط الكلي المركب بين الجسد والروح من جانب، والعقل والقلب من جانب آخر، وما يميز الإنسان عن سائر المخلوقات، هو أن الإنسان في القرآن الكريم يتميز بالروح دون سائر المخلوقات، ومن شأن هذه الروح التي هي من وحي الله تعالى وقدراته، أن تضبط سلوك الإنسان وترتفع بقدر نفسه، وتجعله يعلو على الماديات الحسية المتمثلة في مساوئ الشهوات، وما يصاحبها من ماديات، بل إنها أيضًا تقلل من المسافات الاجتماعية بين الأفراد في المجتمع الواحد، حيث تشعر الإنسان الفرد بقيمته الفردية والجماعية الإنسانية بكيانها ووجودها.

والغريب أن بعض علماء الغرب، نادوا بوجود الروح وأبديتها، حيث أشاروا إلى وجودها في صورة حقيقية منفصلة عن الجسد، وأن لها خصائص لم تكتشف بعد، وأنها تستمر في الحياة بعد فناء الجسم المادي، وبذلك أنطقهم الله تعالى بكلمة الحق، وإن كانوا لا يدينون بدين الحق.

جانب آخر يهتم به الإسلام في توصيف المكونات النفسية الإنسانية، وهو جانب القلب الذي يُمثل صمام الأمان ومفتاح رقابة السلوك الإنساني في حال الضبط والربط والالتزام، وإنه مركز العواطف والاتجاهات والمشاعر والأحاسيس، إضافة إلى ما يوصف به من سمات العقل والتفقه.

والعقل بوصفه قوة مدركة في الإنسان، يُعدّ أيضًا من المكونات النفسية والإنسانية، وهو منحة الله لبني الإنسان المصطفين على سائر المخلوقات، الجديرين بالمسؤولية والخلافة، وتحمل التبعات والمسؤوليات والتصرف في الأعمال.

بل إن العقل يُمثل الرقيب الذي يُوجه الضمير، الذي يُحدث الالتزام في السلوك، وإنه عند عدم تفقه العقل - كما أشار القرآن - تحدث الاضطرابات والاختلالات الخُلقية، التي من شأنها تباعد بين الإنسان الفرد واتباع الصراط المستقيم، حيث تجرّ

عليه الصـراعات والويلات التي تضره وغيره من أفراد المجتمع، عندئذ يصبح الإنسان كالأنعام التي لا تفقه، ولا تعي.

﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: ٤٤).

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٩).

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (الحج: ٤٦).

هذا، إضـافة إلى أن النفس الإنسانية فُطرت من ضـعف، لكن الله سبحانه وتعالى زوّدها بمقومات التقوى التي تسمو بالسلوك الإنساني، وترتفع به إلى درجات أعلى.

ويتعارض هذا مع نظرية التحليل النفسـي لمبتدعها «فرويد» الذي يؤكد أن النفس فطرت على الشـهوات، المتمثلة في الجنس والعدوان، وأن الارتفاع فوق الغرائز وضـبط الشهوات والتدين والتمسك بالقيم، أمور مكتسبة ضد الفطرة.

وفـي مقابلة النفـس الواردة في الذكـر الحكيم بالواقـع الذي يُفسـره علم النفس المعاصر نجد أن النفس الأمَّارة بالسوء تمثل النفس الشهوانية الأنانية العدوانية.

وإن النفس اللوامة هي التي تحاسب صاحبها، وتراجعه، وتحاول العودة به إلى الحق والاسـتغفار وإلى الطريق المسـتقيم. وإن النفـس المطمئنة هي أعلـى مراتب النفس أو حسبما أشار الإمام الغزالي إلى أن سلوكها يطلق عليه السلوك الملائكي.

وهـذا التنظيم في النفس الإنسـانية فـي الذكر الحكيم يُخالـف كلية نظرية فرويد خاصـة في «الأنا العليا» في جوانب الشخصـية، التي تُمثل أسـمى جانب في الشخصية، والتي تشـمل القيم والمعتقدات الدينية والمُثل العليا، حيث أشار إلى أن هذه المشتملات تسبِّب كثيرًا من العقد النفسية نتيجة إعاقة الدوافع الفطرية وإصابة الإنسان بالإحباط،

obeikandl.com

وفـي هذا ما يُخالف النزعة الدينية الفطرية عند الإنسـان وعلاقته بخالقه، فالانحراف عن الدين والمثل والقيم هو انحراف - في الواقع - عن الفطرة السليمة متمثلًا في الدين الإسلامي الحنيف، التي فطر الله سبحانه وتعالى الناس عليها.

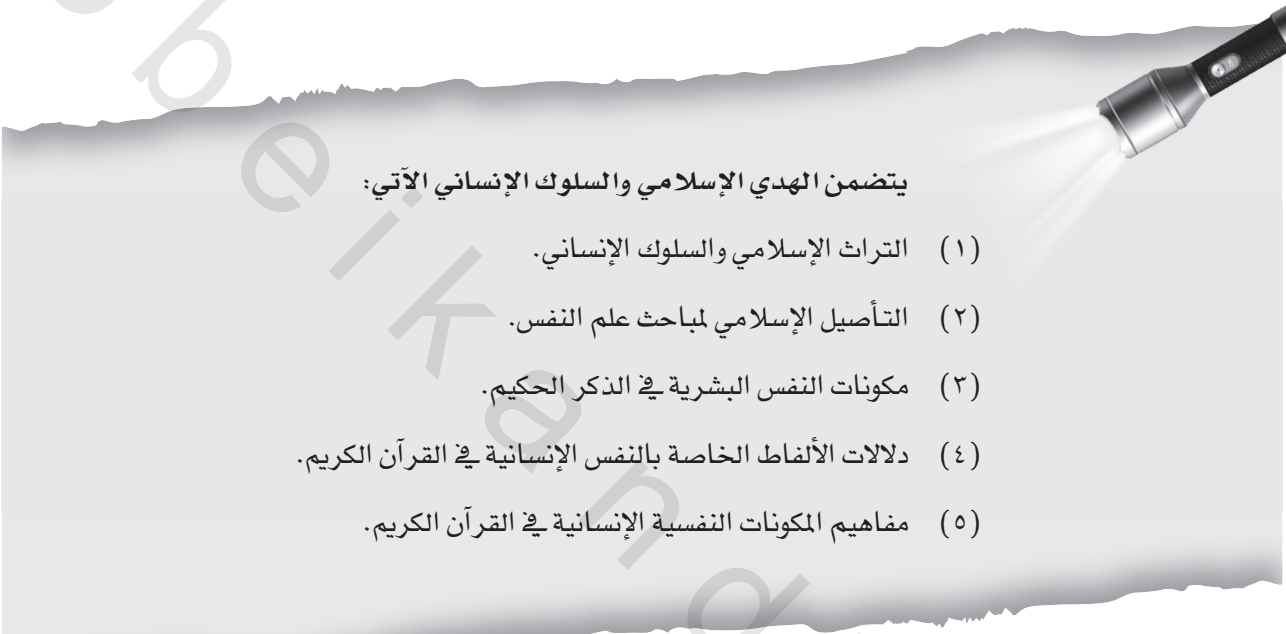

يتضمن الهدي الإسلامي والسلوك الإنساني الآتي:

(١) التراث الإسلامي والسلوك الإنساني.

(٢) التأصيل الإسلامي لمباحث علم النفس.

(٣) مكونات النفس البشرية في الذكر الحكيم.

(٤) دلالات الألفاظ الخاصة بالنفس الإنسانية في القرآن الكريم.

(٥) مفاهيم المكونات النفسية الإنسانية في القرآن الكريم.

تلخيص:

١- منذ أمد بعيد اهتم الدارسون والمهتمون بالدراسات الإسلامية والتربوية، ببناء النفس البشرية وتقويمها وأصولها، وسوية واضطراب سلوكها.

٢- أسمى غايات علم النفس الوصول إلى القواعد السلوكية للحياة المثلى للإنسان.

٣- مكونات النفس البشرية في الذكر الحكيم: النفس - القلب - الروح - العقل.

٤- تتعدد الدلالات اللفظية لمعنى النفس والقلب والروح والعقل في الذكر الحكيم.

٥- في مفهوم كل من النفس والقلب والروح والعقل، تفاسير وتأويل تتقابل مع ما في علم النفس المعاصر من مفاهيم نفسية.

obeikandl.com

٦- بيئة الشخصية في الإسلام، تؤكد الترابط الكلي من الجسد والروح والعقل والقلب.

٧- الروح التي هي من عند الله تعالى ومن وحيه، تميز الإنسان على سائر المخلوقات، وهي تضبط سلوك الإنسان السوي، وتبعد عنه الشهوات، وتُشعر الفرد بقيمته الفردية والجماعية.

أسئلة وتمارين:

١- حدِّد مع الاستشهاد بآيات من الذكر الحكيم الدلالات النفسية لمعنى النفس.

٢- حدِّد مع الاستشهاد بآيات من الذكر الحكيم الدلالات النفسية لمعنى القلب.

٣- مفهوم النفس يُقابله تفاسير وتأويل في علم النفس المعاصر. اشرح.

٤- مفهوم الروح يُقابله تفاسير وتأويل في علم النفس المعاصر. اشرح.

obeikandl.com